الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان-

كلية الآداب واللغات

الملحقة الجامعية - مغنية –

قسم اللغة والأدب

مذكرة لنيل شهادة الماستر

تخصص: دراسات أدبية

أدب الرحلات ودوره في التواصل بين الحضارات
رحلة ابن جبير نموذجا

من إعداد الطالبة:

- نميش دليلة.

الأستاذ المشرف:

- د. بغداد عبد الرحمن

اللجنة المناقشة

القسم	الرتبة	المؤسسة
د. دواح أحمد أمين	أستاذ محاضر - أ -	ملحقة مغنية رئيسا
د. غزرزي عبد الصمد	أستاذ محاضر - ب -	ملحقة مغنية ممتحنا

العام الجامعي 2015م/2016م

1436هـ/1437

هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ ۝ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

نفحات من هدي السنة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر"

شرح السنة:

باب فضل العلم 276/1

دعـــاء

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا

حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ

أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ*

سورة البقرة

مقطوفات من تمام السورة

بعض الآية الكريمة رقم 286

إهداء

- الذين أعانوني ووجهوني درب العلم وسبيل العلماء.
- الوالدين العزيزين "لهم جنات الفردوس نزلا " إن شاء الله تعالى آمين.
- صديقاتي حفظهم الله الحفيظ ورعاهم.
- أسرتي اعزهم الله العزيز وأبقاهم.
- شكر خاص وحار لصديقي العزيز والمحب الصفي الذي لم يبخل علي بتشجيعاته المتواصلة ودعمه الدائم الذي لن أنساه ما حييت.
- أطفال الأرض المحتلة الذين يكتبون الحياة الجديدة.... بالدم والحجارة....

إلى هؤلاء

وأولئك

أهدي هذه المذكرة

الموضوع: أدب الرحلات ودوره في التواصل بين الحضارات (ابن جبير نموذجا)

خطة البحث:

1-مقدمة

- مدخل: قراءة في الرحلات الأندلسية

التاريخ- الأعلام- الدوافع الغايات

2-الفصل الأول: رحلة ابن جبير.

1-مسارها

2-منهجها

3-أهدافها

3- الفصل الثاني: مظاهر الرحلة

1-الإجتماعية

2-الدينية

3-الثقافية

كرابط للتواصل بين الحضارات

4- خاتمة

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرف اللغة العربية على سائر اللغات، تشريف المرسل بها على جميع الأنبياء والرسالات، والصلاة والسلام على أشرف البشرية أجمعين ورضوان الله على صحابته العز المحجلين والتابعين الناهجين نهجه إلى يوم الدين.

وبــعد:

عرف الإنسان الرحلة أو الترحال والتنقل بفطرته التي جبل عليها منذ بدء الخليقة، ومنذ أن هبط آدم وحواء إلى الأرض ليعبدوا الله وليعمرا بأولادهما الأرض وينتشروا فيها بسعيهم وراء مصادر الماء. وأدب الرحلة نوع أدبي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها إلى أحد البلدان.

وتعد رحلة ابن جبير من أهم الرحلات في تراثنا العربي في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية، إذ تشكل ثروة معرفية كبيرة، ومادة اجتماعية وحضارية مشوقة، مما يعطي رحلته السمة الأدبية والقيمة الفنية.

ومن هذا المنطلق جاءت دراستي لتحاول الوقوف عند أهمية الأدب الرحلي عند ابن جبير، وقد تم اختياري لهذا البحث نتيجة إعجابي بهذا الأديب الذي غادر دياره وجازف بروحه ليسير في أطراف الأرض وأكنافها ليكتشف المجهول خدمة للعلم والمعرفة، وما دفعني أيضا: أن ابن جبير له ما يقوله طوال رحلاته عن المدن العربية التي زارها حظه كحظ الجغرافيين وإسهامه الكبير في تأسيس أدب الرحلات كجنس أدبي، وكذلك لتوفير فرصة الإحتكاك بالثقافات الأخرى في هذا المجال وللإمارات تجربة ثقافية رائدة في أدب الرحلات، نتمنى أن نحذو حذوها في جميع بلادنا العربي.

ورأيت في ذلك فرصة طيبة سمحت لي بمواصلة الإطلاع على المصادر العربية، متبعة خطة بحث تمثلت في دراسة كل عنصر على حدة: المدخل الذي عرضت فيه: نبذة عن الرحلات الأندلسية من خلال تاريخها، أعلامها، دوافعها وغاياتها.

أما الفصل الأول: تناولت فيه رحلة ابن جبير بدءا بمسارها ومنهجها وأهدافها.

ثم جاء الفصل الثاني: متضمنا المظاهر الإجتماعية والدينية والثقافية كرابط للتواصل الحضاري.

وقد آثرت المنهج التاريخي في البداية كأداة لعرض هذه العناصر، من خلال العصور التي مر بها أدب الرحلات باعتبار الرحلة متصلة بتاريخ الإنسان، ومن الأمور الفطرية إخبار الرحالة بما رآه وسمعه وشعر به في رحلته، وحب الإستطلاع في الآخرين من أقاربه وأصحابه، كما استعنت بالمنهج الوصفي لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية والتصوير المباشر، مما يجعل قراءتها غنية، ممتعة، ومسلية بحاجة إلى الوصف والشرح والتوظيف.

وقد اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع كانت عونا لي في انجازه اذكر منها:

أ- رحلة ابن جبير: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار
ب- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني
ج- تاريخ الأدب الأندلسي للأستاذ إحسان عباس.

أما الخاتمة فقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها، وقد واجهتني بعض الصعوبات منها: تشتت المعلومات بين الكتب والشبكة العنكبوتية.

أرجو من الله جل شانه أن يتقبل منا عملنا احتسابا

لوجهه الكريم وأن يحسن توفيقنا، ومنقلينا إليه،

وفادتنا عليه، إنه كريم رجيم عظيم عليم.

المدخل

أهمية الرحلة تكمن في كونها:اليد التي تمتد لتقرب شعوبا تناءت عن شعوب،وأقواما إلى أقوام، تفصل بينها البحار والقفار، وسبحان القائل: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » سورة الحجرات الآية -13-

على أن ثمار الرحلة لا تتوقف عند التعارف، أو صقل الشخصية، أو كشف طباع الشعوب، لكنها تجود بمكاسب علمية وأدبية يتعذر حصرها، ورغم اختلاف دوافع السفر من إنسان لآخر، فإن الرحلة عبارة عن سلوك يؤتي ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة، فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها، وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها [1]

وأدب الرحلات نوع من أنواع النثر العربي، وجد في أدبنا العربي منذ القرن التاسع ميلادي، وتقوم موضوعاته على الرحلات، ويكتب بلغة أدبية خاصة لها خصائصها التي تميزها عن التسجيلات الجغرافية التي تتصف بالأسلوب العلمي، وتبتعد عن الأسلوب الأدبي وهو يعنى أساسا بالرحلات الواقعية ذات المحددات المكانية والزمانية، سواء جرت فوق الأرض، وفي أعماق البحار، وتتجلى القيمة الأدبية للرحلات فيما يقول الدكتور حسين محمود حسين: (فيما تعرضه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني .[2])

ولقد تعددت أنواع الرحلات بتباين أهدافها، فقد ارتحل بعضهم بقصد الميل إلى الإستطلاع واكتشاف المجهول، أو الرغبة في ارتياد العلم، وقد رتبتها زمنيا حسب بدء الرحلة، فان لم يتعين زمن بدئها في بعض الرحلات المخطوطة، اعتمدت سنة وفاة المؤلف، فإن لم يتعين اعتمدت القرائن السياسية والتاريخية للوجود العربي في الأندلس

1 - ينظر فؤاد قنديل/ أدب الرحلة في التراث العربي .مكتبة الدار العربية للكتاب ط2 .2002م

2 - د. حسين محمود حسين/ أدب الرحلة عند العرب. المكتبة الثقافية.335 الهيئة العامة للكتاب. القاهرة 1976م

1- رحلات القــرن الثالث الـهجري:

جاءت بعضها سفارية، كرحلة الغزال (156- 250ﻫ) من قبل أمير الأندلس لدى ملك النورمان، الذي كان جنوده قد شنوا حربا على الأندلس، وبسبب اندحارهم أمام القوة الأندلسية، فكر هذا الملك بعقد محالفة ود وصداقة مع الأمير عبد الرحمــن الأوسط، ارتأى الأمير توجيه سفارته فاختار يحيى بن الحكم الغزال[1] .

1– الحميدي/ تحقيق إبراهيم الإيباري، جدوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس. دار الكتاب اللبناني ط2. 1982 ص7/

ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب/ تحقيق إبراهيم الإيباري. المطبعة الأميرية. القاهرة 1954 ص 136

ويرى إحسان عباس أن ثمة سفارتين للغزال، إحداهما لدى ملك الروم في القسطنطينية، والثانية لدى ملك النورمان، وكانت الأولى سنة (206هـ) والثانية سنة (230م). وقد تحدث الغزال في رحلته عن كثير من الأمور والتي أضحت معلومات عن بلاد المجوس، فقد عرفته عن بلاد غريبة، وأناس غرباء، وعادات يراها أول مرة والحكايات التي تروى في هذه الرحلة ليست كلها من نسج الخيال وبخاصة رفض الغزال أن يسجد لملك المجوس[1]

1– عباس إحسان/ تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة بيروت ط6. ص 162

2- رحلات القرن الرابع الهجري:

لم نعثر من رحلات القرن الرابع الهجري، إلا على إشارات عديدة لرحلة سفارية لإبراهيم بن يعقوب الطرطوشي (347ه) يهودي من أهل طرطوشة، وهو تاجر ممن كانوا يعملون في طلب الدقيق الأوروبي إلى الأندلس، ولهذا كان يقوم برحلات إلى ألمانيا وبلاد الصقالبة وشمالي أوروبا، وقد كتب رسالة إلى الحكم المستنصر عن رحلة قام بها إلى ألمانيا أيام الإمبراطور اوتو الكبير على الأغلب، واحتفظ البكري بجانب كبير من هذه الرسالة، وقد عنى بهذا الجزء نفر من المستشرقين مثل كويك وفيجرس وجيورج ياكوب، فنشروه على حدة وترجموه إلى الروسية والألمانية والهولندية[1] .

1– مؤنس حسين، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، معهد الدراسات الإسلامية. مدريد 1967 ص 76.

3- رحلات القرن الخامس الهجري:

ومن الرحلات المهمة في هذا القرن، رحلة مخطوطة بعنوان ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك لأحمد بن عمر بن انس العذري المعروف بابن الدلائي (ت 478ه)[1] وقد ورد له اسم آخر عند ياقوت الحموي هو نظام المرجان في المسالك والممالك [2] .

وقد غلبت عليه نزعة الرواية فاعتمد على السابقين من مؤرخي الأندلس مشيرا إليهم، أكثر من اعتماده على مشاهداته هو، وما يتطلبه ذلك من أسفار ورحلات ومشافهة للناس، وتمحيص لأحوالهم[3] .

ومن أشهر جغرافي القرن الخامس الهجري ورحالته: أبو عبيد البكري الأندلسي (487هـ) وصفه ابن الآبار بأنه مفاخر الأندلس وهو أحد الأعلام والرؤساء، كان يمر بالمدن المغربية الإفريقية، يذكر أحداثها التاريخية، ويصف ماءها وهواءها، والأقوام الذين يقطنون فيها وعاداتهم وعلاقاتهم[4] .

1- الحميدي. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس.ط2.ص214.
2- ياقوت الحموي. معجم البلدان. دار إحياء التراث العربي . بيروت.ج2.ص460.
3- ترصيع الأخبار، مقدمة المحقق عبد العزيز الأهواني. معهد الدراسات الإسلامية مدريد.1967.ج2.
4-ابن الآبار، الحلة السيراء. تحقيق حسين مؤنس.الشركة العربية للطباعة والنشر. القاهرة.ط1.ص185

وفي هذا الصدد نذكر أبا بكر محمد بن عبد الله بن احمد بن العربي المعافري[1]، الذي زار الكثير من المدن مسجلا بعض المشاهد من الحياة العامة، مصورا بعض الصعوبات التي واجهته مع والده ومن معه، مما يدلل أن الرحلة كانت وسيلة للنجاة، بعدما تغيرت الأحوال في الأندلس[2].

4 – رحلات القرن السادس الهجري:

طاف الإدريسي أبو عبد الله محمد(493-560ه) في الأندلس وشمالي إفريقيا وفرنسا وانجلترا، ثم رحل لتأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام ودون مشاهداته في رحلته الموسومة بنزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، واستعان الإدريسي في مؤلفه بما أفاده من رحلاته الخاصة، وبما قيده من أحاديث الرحالة والتجار والحجاج في السفن [3] .

1- المقري احمد بن محمد. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق إحسان عباس. دار صادر بيروت 1968.ج2.ص25.

2- عباس إحسان. رحلة ابن العربي إلى المشرق كما صورها قانون التأويل. مجلة الأبحاث السنة 21 العدد(1-4) ص 60.

3- زكي حسن. الرحالة المسلمون في العصور الوسطى- دار المعارف- مصر 1945. ص 65.

وكذلك الرحالة أبو حامد الغرناطي(565هـ) وكان يروي قصص عجائب شاهدها وأخبار سمعها، وسجل حوادث رحلته في كتاب تحفة الألباب ونخبة الإعجاب[1] .

ومن الرحلات في النصف الثاني من القرن السادس الهجري: رحلة بنيامين التطيلي النباري(ت 569هـ) الذي يعطينا معلومات عامة عن أحوال اليهود في كل مدينة زارها، يصف أوضاعهم وطرق كسبهم ومركزهم العلمي والإجتماعي[2] .

ومن أشهر الرحلات في هذا القرن، رحلة ابن جبير البلنسي الغرناطي(ت614ه) الذي ارتحل إلى المشرق ثلاثا، وحج في كل واحدة منها وتحوي رحلة ابن جبير معلومات اقتصادية وبشرية وطبيعية، وتعطي صورة عن الجالية المغربية في بلاد الشام[3].

1- الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الإعجاب. تحقيق إسماعيل العربي. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري1982. ص 98.

2- التطيلي بنيامين. رحلة بنيامين التطيلي. ترجمة عزرا حداد بغداد1945.ص27

3– ابن جبير . رحلة ابن جبير. تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار. دار صادر. بيروت1959.ص6

5 - رحلات القرن السابع الهجري:

من أهم رحلات هذا القرن: رحلة صالح بن يزيد الرندي(ت 684هـ[*])ورحلة ابن سعيد المغربي الأندلسي الغرناطي(610- 685هـ) وقد رأى في تجواله في الأقاليم الإسلامية الواسعة كثيرا من العادات التي لم يألفها في الأندلس [1].

ومن رحلات القرن السابع، رحلة أبي القاسم محمد بن علي التجيبي السبتي (670- 730ه) التي سماها مستفاد الرحلة والإغتراب،ورحلة محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري السبتي(ت721ه) المعروفة باسم ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة[2] .

ورحلة أبي عبد الله محمد بن العبدري الحيحي المسماة بالرحلة المغربية، وتعد رحلته وثيقة عن الحياة الثقافية والإجتماعية في القرن السابع هجري عن البلاد التي زارها، صور عادات أهلها وطبائعهم وطرفا من أخبارهم، منتقدا إياها بأسلوب لاذع، ووصف لا يخلو من دقة الملاحظة[3].

---

*- هو أبو الطيب صالح بن يزيد بن موسى بن شريف الرندي: وهو اول الرحالة غير الجغرافيين كان فقيها محافظا-انظر المراكشي- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ج2. ص137.

1- انظر: نفح الطيب. ج2 ص262.

2- ابن رشيد الفهري السبتي. ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة.الدار التونسية للنشر.تونس 1982

3- العبدري .الرحلة المغربية. تحقيق محمد الفاسي.وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي الرباط 1968ص 32.

6 – رحلات القرن الثامن الهجري:

من رحلات هذا القرن، رحلة أبي محمد بن عبد الله بن محمد التجاني(670-711هـ) ومن سمات هذه الرحلة أنها تعرض لمطالعها أخبار المدن والقرى، وتجعله يحيط علما بإحداثها مع التعريف بالنابغين من أبنائها ، وتبين أسماء المدن والقبائل، ويورد وثائق تاريخية مهمة، أما شيخ الرحالة وأكثرهم طوافا واستيعابا للأخبار في هذا القرن فابن بطوطة صاحب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، وقد كان ابن بطوطة من أشد الرحالة عناية بالحديث عن الحياة الإجتماعية في البلاد التي تجول فيها، أكثر عنايته بالحديث عن الأرض والمدن، ويمكن اعتباره مؤرخا اجتماعيا للمسلمين في عصره[1] وهناك إشارات لرحلات أخرى من القرن الثامن هي رحلة البلوي أبو البقاء خالد بن عيسى إلى المشرق، ولسان الدين بن الخطيب، ورحلة الأفق المشرق لابن الطيب، أوردها ابن الخوجة محقق رحلة ابن رشيد[2])، ورحلة الرعيني السراج أوردها حسن السائح محقق تاج المفرق[3] .

1- زيادة نقولا الجغرافيا والرحلات عند العرب. دار الكتاب اللبناني بيروت 1962ص 190.

2- رحلة ابن رشيد. المقدمة.ج1 ص 31.

3- تاج المفرق في تجلية علماء المشرق. تحقيق حسن السائح. مطبعة فضالة المحمدية. المغرب.د.ت.ج1 ص 09.

7 - رحلات القرن التاسع الهجري:

سجل ابن خلدون (737- 808هـ) في تاريخه أهم أحداث حياته في كتاب العبر سماه التعريف بابن خلدون مؤلف الكتاب، ورحلته غربا وشرقا[1] ومن رحلات هذا القرن، رحلة ابي الحسن علي بن القرشي الأندلسي القلصادي (ت 791 هـ)، وقد جاءت رحلته خالية مما توافر في بعض الرحلات الأخرى من الأمور الغريبة المتسمة بالطابع الخيالي[2] ومن الذين ارتحلوا كذلك في هذا القرن، عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهر، لم يدون أخبار رحلته ولكنه كتبها في مواضيع متفرقة في كتابه الروض الباسم[3]

وهناك رحلة حجازية لعبد الله بن الصباح الأندلسي التي جعلها تحت عنوان: منشاب الأخبار وتذكرة الأخبار، ومن الرحلات التي أشير إليها في القرن التاسع الهجري، رحلة أبي العباس احمد بن الحسن بن منقذ القسطنطيني (770-809هـ) ورحلة زروق ورحلة محمد بن سليمان بن داود الجزولي(ت 893هـ) [4]

1- رمضان احمد .الرحلة والرحالة المسلمون. دار البيان العربية. جدة.د.ت.ص221
2- نفس المرجع ص 224
3- السخاوي. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. دار الحياة بيروت. لبنان. ج4 ص 27
4-تاج المفرق. المقدمة. ج1 ص 77

تؤكد هذه الإشارات الكثيرة والمتنوعة للرحلات الأندلسية ضرورة تتبعها ودراستها في مظانها مطبوعة ومخطوطة ومتفرقة، لأنها تكشف عن أحوال سياسية واقتصادية واجتماعية، ولعل الكشف عن المخبأ منها، يضيف إلى خصوبة مادة الرحلات التي تغري الباحثين في دارستها من مستويات وجوانب متعددة.

دوافع الرحلــة :

تعود أسباب الرحلات إلى عوامل كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

1- حب الإطلاع والمعرفة ونقل المظاهر الحضارية في الأقاليم التي قصدها الرحالة.
2- أداء فريضة الحج والعمرة في الأماكن المقدسة عند بيت الله الحرام أمثال: ابن جبير البلنسي الأندلسي، وابن بطوطة الطنجي، والشريف الإدريسي.
3- غرض كسب الرزق الحلال، وخدمة الحكام، وأهدافهم السياسية مثل: ابن حوقل النصيبي[1] .
4- تقديم وصف ومقارنة بين بلد وأخر في معالمه الجغرافية، والمناخية والحضارية، من بعض الرحالة مثل ما قام به البكري القرطبي[2].
5- أوضح عدد من الرحالة الأندلسيين، عن حالة التردي والتأخر للأوضاع بالشمال الشرقي للأندلس، وما كانت تعانيه حياة الناس في الإقليم، مقارنة الى التواصل الحضاري في الأندلس، ونقل البكري معلومات، وصور التخلف، والبؤس والشقاء لسكان أوروبا في عصر ازدهار الأندلس[3] .

1- الأستاذ الدكتور محمد بشير حسن راضي العامري/ البحث الموسوم « دور الرحالة المشارقة والمغاربة وأهل الأندلس نقل مظاهر التواصل الحضاري إلى الولايات الإسلامية عبر التاريخ » . جامعة بغداد. كلية التربية للبنات. مؤتمر جامعة فيلادلفيا.
2- البكري والمسالك والمماليك.ص81 نقلا عن الطرطوشي.
3- نفس المصدر 167.

6- الكشف عن ظواهر الطبيعية والمخلوقات وأحوال المجتمعات والتطور الحاصل فيها كما ورد عند الجغرافي في الأندلس الزهري الذي كتب عن أرمينية الكبرى، وفلندة، والممالك الإسبانية الشمالية النصرانية بالتفصيل فضلا عن مدن الأندلس وعجائبها[1].

1- الأستاذ الدكتور محمد بشير حسن راضي العامري/ البحث الموسوم « دور الرحالة المشارقة والمغاربة وأهل الأندلس نقل مظاهر التواصل الحضاري إلى الولايات الإسلامية عبر التاريخ » . جامعة بغداد. كلية التربية للبنات. مؤتمر جامعة فيلادلفيا.

لم يحظ الأدب والتراث الأندلسي عموما بما يستحقه من البحث والدراسة، فلا نعدو الحقيقة أن قلنا، أن هذا الجانب من أدبنا العربي، ويا للأسف لاقى من الإهمال الشيء الكثير، على الرغم من انه تراث جدير بالبحث والإبراز، وقد أوضح حسن الوراكلي ذلك فقال:« الأدب الأندلسي لم يلق من الباحثين العناية الكافية التي تتناسب مع ما هو عليه من الجودة والقوة، فهو لا يزال بحاجة إلى الدراسات الجادة التي تكشف عن أسرار وكنوز هذا التراث، الذي خلفته حضارة الإسلام التي عاشت ردحا من الزمن في الأندلس » [1]

وان العناية بتراثنا الأندلسي هو حفظ الثقافة امتنا الإسلامية وتميزها الحضاري، وقد نوه الأستاذ عبد الحميد المالكي بهذا التراث في معرض أنحائه بالأئمة على أبناء جلدته لأعراضهم عن تراثهم،ويدعوهم إلى اتخاذه مصدرا لفكرهم وثقافتهم فيقول:« ونحن بحكم التخلف الثقافي الذي عشناه طويلا ابتعدنا كثيرا عن تراثنا الفكري الأصيل، مدفوعين بالرغبة الملحة في اللحاق بالدول التي ظننا أنها قطعت شوطا غير قصير في ركب الرقي والحضارة، ولم نحاول أن نزيل غبار التخلف عن تراثنا الأصيل، ونتخذ منه مصدرا لفكرنا، فهو الملائم لخصائصنا الثقافية والمنسجم مع بيئتنا الإسلامية » [2].

1- مقالة: تراث المغاربة في الجامعة السعودية.ا.د حسين الواركلي. مجلة الابحاث عدد (1-4) سنة 21 ص90

2- مقالة: الآراء التربوية لابن حزم الأندلسي وتطبيقاتها، عبد الحميد المالكي. مجالات أندلسية. العدد 12 ص 17

وقد ساهم الأندلسيون في كل الفنون، وتقدموا على من سواهم في تلك الحقبة الثمينة من الزمن، فكان منهم المفسرون الكبار، وكان من بينهم المحدثون والفقهاء الذين بلغوا الذروة في علوم الحديث والفقه والسيرة وغيرها من العلوم المختلفة.

لقد كانت رحلاتهم من الأندلس وإليها حافلة بالبطولة، مليئة بالتضحيات والبطولة، وكان أدب رحلاتهم مركز إشعاع حضاري يضيء الطريق للسائرين.

وإن العناية بتراث الأندلسيين قد:« أسدت إليه خدمات جلى، إذ بعثته من مرقده، وإذ عرفت به، إذ دعت. إن تصريحا أو تلميحا إلى استثمار مكوناته الايجابية في ربط حاضر الأمة بماضيها من جهة، وربطه بأصله المشرقي من جهة أخرى، كل ذلك برؤية تعمق الوعي بالهوية الإسلامية التي تصل بين أبناء الأمة مع المشرق والمغرب بعرى عقدية ووشائج ثقافية لا تخلق ولا تبلى على تطاول الحقب والعصور[1] »

1- مقالة: تراث المغاربة في الجامعة السعودية.ا.د حسين الواركلي. مجلة الأبحاث عدد (1-4) سنة 21 ص137

لقد كانت العلاقة الوثيقة بين الأندلس والحجاز فكرا واحدا، وأدبا واحدا رغم تباعد هذه الأقطار، وكان دليلا على ذلك المدائح النبوية من القصائد التي ترسل مع الرحالة الأندلسيين من الذين لا يستطيعون الرحيل، وهي ظاهرة في الأندلس، ونجد أنفسنا أمام حضارة إسلامية أصيلة تعكس البيئة الأندلسية وأدب الرحلات الأندلسية هو رسالة مجد خالدة، يقرؤها من هو جدير بالمجد الخالد، ويستشعر الحياة فيها.

ولذلك كان من الأولى، دراسة أدب الرحلة عندهم وتقديمه للباحثين والإطلاع على كنوزه، والتنبيه عليها. إن أدب الرحلة الأندلسية نثره الفني وشعره، هو الوسيلة التعبيرية الأولى لكتابته وإبداعه، وذلك لتدخل مجموعة من الإعتبارات الثقافية والتاريخية لتحديده لقد دأب الأندلسيون طويلا على الإعجاب بالمشرق والحنين إليه فهو في نظرهم وطنهم الأول، ومهد حضارتهم الإسلامية، ومصدر زادهم الروحي والثقافي، فأخذ كل أندلسي يشعر بأنه جزء من هذا المشرق، يحن إليه، وظل هذا الشعور قويا في أعماق الأندلسيين على امتداد الزمن، وامتداد التواصل مع المشرق حتى آخر عهد المسلمين، وظل الأندلسيون يحفظون لبلاد الحرمين إجلالا كبيرا وتقديرا عظيما[1] .

1- رئيس مجمع اللغة العربية في الأردن.ا.د. عبد الكريم خليفة في زيارة له إلي الأردن بتاريخ 1999/7/7م

وأدب الرحلة عند ناصر الموافي:« وثيقة حية ونتائج معاينة، و فوق ذلك يمكن اعتبارها وثيقة نفسية رائعة في استنباط الحقائق عن النفس البشرية التي يمثل الرحال احد نماذجها البارزة، والنماذج الرفيعة من هذه الوثائق تكتسب صفة الخلود، لأنها سترتفع عن كونها طابع فردي خاص لتصبح ذات طابع إنساني عام [1]»

إن أفضل أجزاء الرحلة هي تلك التي تصف الحال وأدبه من شعر، ومن العوامل التي نجدها أن بعض الرحالة لم يدونوا رحلاتهم بأنفسهم، بل عهدوا إلى بعض معاصريهم بتدوينها، تاركين لهم الحرية لنسج تفاصيل أخرى، ومن الأسباب غير الموضوعية قيام بعض اللاحقين باختصار النصوص، وتجريبها بكل ما يمت إلى الأدب، والإبقاء على ما هو علمي، بالإضافة إلى أن بعض النصوص ضاعت كاملة وأخرى فقدت بالحذف وموضوع البحث يمكن حصره في دراسة وافية عن الرحالة الأندلسيين كمثال: ابن جبير والبلوي والقلصادي وابن جابر الوادي أشي والرعيبي ورحلاتهم.

1- الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري.د. ناصر الوافي ص 51.

والحقيقة أن هذا اللون الإبداعي قد عرفه الأدب العربي قديما وحديثا، فلو قمنا بجرد لفهارس المخطوطات العربية، لعثرنا على كمية من الرحلات الأندلسية التي تعتبر شواهد على عصرها، بحيث عمل أصحابها على تدوين مشاهداتهم، وتقييد شهاداتهم في البلاد التي نزلوا فيها وقد وجدت بعض الباحثين من تنوعت أقلامهم في دراسة الرحلات تاريخيا وجغرافيا، كما أوضحت في السابق، حيث أن الجانب الأدبي والفني من الرحلة لا يوجد إلا في القليل النادر في هذا الجانب من الكتب التاريخية التي تهتم بهذا المجال فمن المشارقة:

- الأستاذ زكي محمد حسن وكتابه: « الرحالة المسلمون في العصور الوسطى »
- محمد الخضر الحسين وكتابه:« أدب الرحلات عند العرب في المشرق »
- الأستاذ أحمد رمضان احمد في كتابه:« الرحلة والرحالة المسلمون »
- كتاب:« أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي » لأحمد أبو سعد.
- كتاب:« أدب الرحلة تاريخه وأعلامه » لجورج غريب.
- « أدب الرحلة في التواصل الحضاري » سلسلة ندوات جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. مكناس المغرب[1].

1- مجلة الفيصل، مقال للدكتور: سيد حامد النساج، تحت عنوان: دعوة لدراسة أدب الرحلات في تراثنا العربي،المملكة العربية السعودية. ص 91 عدد 186سنة 16 يونيو 1992م. المملكة العربية السعودية.

ومن الذين عنوا بالرحلات من الجانب التاريخي وتحقيقها: الشيخ محمد المنوني، والأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس، الدكتور محمد ابن شريفة، والدكتور حسين مؤنس، والدكتور عبد العزيز الساوري، د. الطاهر أحمد مكي، والشيخ الدكتور محمد الحبيب بلخوجة، و.د. محمد الكتاني، والدكتور عباس الجراري، والأستاذ الشيخ عبد الله كنون، والشيخ حمد الجاسر- رحمة الله عليه - والدكتور محمد رجب البيومي، و.د. مصطفى عليان، و.د. عباد الثبيتي، و. ا.د. حسن الوراكلي، و.د. عبد الوهاب فايد إلى جانب الندوات والمحاضرات غير أن الملاحظ في الكثير منهم أنهم لا يعرجون على كل الرحالين الأندلسيين، وإن حاولوا فبشكل سطحي ، بل وجدت البعض يقفون عند أشهرهم إسما وأبعدهم صيتا، ألا وهو ابن بطوطة، الذي ارتبطت شهرته برحلته الطويلة زمنيا والبعيد ة مكانيا، والتي احتوت على الحكايات العجيبة والأخبار الطريفة، ما عجل بشهرتها من عصرها إلى اليوم، وقد ترجمت إلى عدة لغات أجنبية.

وتبين الرحلات الأندلسية دورها في ربط الصلات الثقافية بين شمال إفريقيا والمشرق، وأيضا في وصف الطريق جغرافيا وتاريخيا وحضاريا وروحيا، يضاعف من أهمية هذه المعلومات إن معظمها مما أهمله تاريخ المناطق التي تصفها الرحلات[1] .

1 - مقال في مجلة المناهل المغربية« الرحلات المغربية الحجازية » محمد المنوني. المغرب. عدد 518. المجلد 56 اغسطس1994ص16

تتنوع الرحلة باعتبار دوافعها وأغراضها، فنجد الرحلة الحجازية التي يكون هدف صاحبها مقتصرا على أداء فريضة الحج، وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها الرحلة العلمية ذات الغرض العلمي والمتجلي في لقاء الشيوخ والعلماء والأخذ عنهم والتتلمذ عليهم، وربط الصلة بسندهم، ومنها السفارية، وهدفها سياسي حيث يكون الرحالة سفيرا لبلاده إلى جانب هذه الأنواع الرحلة السياحية أو الإستكشافية، التي تتخذ من السياحة في الأرض والتعرف على المجهول أساسا لها، كما هو الحال لابن بطوطة ومن خصوصيات أدب الرحلة عموما إنها تتخذ الوصف عمادها، والأخبار أساسها، ونقل الواقع الحقيقي حتى لتكاد وأنت تطالع رحلة من الرحلات كأنك في ذلك العصر الذي كتبه فيه، وعلى أرض تلك البلاد التي تنقل إليك أخبارها، وأمام أولئك القوم الذين تحكي عنهم تسافر مع الرحالة من غير مطية، وتجوب معه البلاد للتعرف على الماضي من خلال ما يبدي لك، لم يكن الرحالة ناقلا للأخبار، واصفا للمشاهد والآثار فحسب، بل كان ناقدا بصيرا بالأمور، خبيرا بعللها، يستطيع بحسه أن ينفذ إلى خبايا الأشياء وخفاياها، فتأتي تعليلاته دقيقة، وتصحيحاته مضبوطة مع الحديث الذي ينقل إليك خبره، حيث انه يدرك بالنظرة القصيرة ما يتعذر على المتأمل[1].

1– دراسات مغربية، للاستاذ المرحوم: محمد الفاسي ص 68

وإلى جانب صفتي المؤرخ والناقد فقد كانت صفة الجغرافي ملتصقة به، وصفة عالم الإجتماع من أهم مميزاته، يعين مواقع البلدان في رحلته، ويصف المسالك والطرق، وينقل أخبار القوم، مقدما تحليلا لنفسياتهم وتفكيرهم ونمط عيشهم ، ذكر لحياتهم الحضارية، هدفه من ذلك نقل شهادة صادقة عن واقع عصره ومحيط رحلته، معتمدا في الأصل على المشاهدة المباشرة والمشاهدة العينية، إضافة إلى هذه الصفات غالبا ما يكون الرحالة عالما كبيرا، وفقيها متبحرا له إلمام بعلوم القرآن والحديث، ودراية باللغة والأدب، إلى جانب ما يتفرع عن هذه الأصول من فروع، وهذا ما يجعل الرحلة ميدانا رحبا منفتحا على جميع العلوم والمعارف، فيجد المؤرخ ذاته، ويستنبط منها عالم الإجتماع أحكامه، ويقتبس منها الجغرافي تصوياته، بينما يجد فيها الأديب نفسه، والناقد والمفسر غذاءه، والمحدث مبتغاه، والقارئ لذاته. والحقيقة التاريخية تؤكد هذا النوع من الأدب لم يكن حكرا على قوم دون قوم،أو موقوفا على أناس من الأقطار في العالم الإسلامي دون آخرين، بل هو عام مشترك وتدعوا إليه العزيمة القوية، لمجابهة أخطار السفر وأهوال الرحلة، وهذا التخصيص من سمات الرحالين المشارقة، ورغم قلة ما بأيدينا من الرحلات الأندلسية الخاصة بالعصور الماضية، فقد شهد هذا العصر تعاقب سلسلة من الرحلات ذات الوجهة الحجازية والأهداف المتباينة لقد تم تسجيل رحلة ابن جبير، ورحلة البلوي :«تاج المفرق في تجلية علماء المشرق713هـ » وأخرها رحلة القلصادي891هـ[1].

1– رابط الموضوع:

http:// www.alukah.net/library/0/5342/ *ixzz3pqkc6kn

اغترق الرحالة الأندلسيون من معين الحياة الواسع مادة لأقلامهم، لخلق أدب حي ينمي المعارف على اختلاف أنواعها، ولا يتقيد بالصغائر التي هي قيود تكبل أجنحته دون التحليق والسمو دون أن تفتح لاحتضان الحياة بأسرها، ومن هذا كان سر ذيوع الرحلة وتأثيرها في النفوس، وهكذا أبرزت رحلة ابن جبير مدى اهتمام المشرق برحلات البلوي والقلصادي، وحظيت رحلة ابن جبير بالإهتمام الذيوع وهذا الانتشار كان من نتائجه أن تأثر الرحالة الأندلسيون بعضهم ببعض، وكثرت نقول بعضهم على بعض، ونقل العبدري بعض أراء ابن جبير وكذلك البلوي من الجغرافيات والأدبيات، إذ لا ضير أن يستفيد رحالة بما وصل إليه أخر، ولا ضير أن تتشابه بعض الجزئيات في العمل الأدبي، ولا أرى انتقاصا في ذلك لهذا الرحالة أو ذاك ما دامت المعالجة متغايرة، ويرجع ذلك إلى المعاناة والظروف النفسية، والحوادث التي لها تأثير كبير في انعكاس ذلك على حياته، تبعا لما تتميز به شخصية المؤلف، فهي ترجمة نفسية وذاتية وأخلاقية للرحالة، من حيث يشعر أو من حيث لا يشعر، فالشخصية والمعاناة النفسية تظهر في كل صورة من صور الرحلة في الوصف[1].

1- الر حلة في الأدب المغربي: فاطمة خليل ص 572.

الفصل الأول

لقد مارس المسلمون والعرب الأوائل الرحلات، في شبه الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها، والبعيدة عنها، وقد دون هؤلاء الرحالة رحلاتهم، واستمدوا معانيهم وموضوعاتهم من تلك المشاهدات وصاغوها بشكل فني خاص.

قد لعبت تلك الرحلات دورها المهم والفعال في تطوير المعارف الإنسانية المختلفة، وعلى جميع الأصعدة والتخصصات على مر السنين، ولا زالت إلى يومنا هذا.

وانطلاقا من هذا ارتأيت الوقوف عند رحلة ابن جبير، التي تتبعتها بالدراسة والتحليل متمثلة في ثلاث رحلات.

المبحث الأول: مســـارها

وقد كان دافعه لهذه الرحلة هو زيارة البقاع المقدسة، بالإضافة إلى الإطلاع وحب المعرفة بزيارته لبعض الأماكن الأخرى.

ولرحلته إلى البقاع سبب قوي آخر، مفاده أن صاحب مدينة غرناطة استدعاه يوما، ليؤلف كتابا وهو في مجلس شرابه، وحدث أن دفع إليه الأمير كأسا، فأظهر ابن جبير الإنقباض، وقال: يا سيدي ما شربتها قط، فقال: والله لتشربن منها سبعا. فلما رأى العزيمة شرب سبع كؤوس، فملأ له السيد الكأس من دنانير سبع مرات، وصب ذلك في حجره، فحمله إلى منزله وأضمر أن يجعل كفارته شربه الحج.[1]

فباع بعض عقاراته، وأضاف ثمنه إلى عطية الأمير، وما هي إلا أيام حتى استأذن من الأمير في الحج، ولكي لا يحول دون سفره، أبلغه أنه أقسم قسما لا رجعة فيه أن يحج في تلك السنة فأذن له[2].

---

[1]- ينظر: المقري:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق إحسان عباس- دار صادر- بيروت 1968 ص 385

2- ينظر: عبد الرحمن حميدة. أعلام الجغرافيين العرب ص 409

رحل ابن جبير من الغرب إلى المشرق، ومر بالعديد من البلدان وشاهد الكثير من المشاهد، ووصف كل ما شاهده من مدن ومساجد، ومعالم وأطعمة ومرافق عامة، وغير ذلك من الأشياء التي سنعرض لبعض منها في رحلاته الثلاث:

1- رحلته الأولى:

ترك ابن جبير غرناطة عام578هـ وقصد مكة حاجا، فذهب إلى سبتة ومنها إلى سردينيا، حيث رأى أسرى المسلمين يباعون في سوق العبيد، فأحس بالألم، وأدرك أن ما أصاب هؤلاء البؤساء إنما هو نتيجة تفكك العالم الإسلامي يومئذ، ولذلك اتجه إلى تسجيل كل مشاهداته ليقف عليها المسلمون، وليعلموا إلى أي مدى يجب أن تتحد كلمتهم، وأن يصلحوا أحوالهم حتى يستطيعوا مواجهة الأخطار التي تواجههم تم وصلت سفينته إلى الإسكندرية، ولما دخل المدينة جذبت انتباهه منارة الإسكندرية الشاهقة الإرتفاع، وقف طويلا عند بعض آثارها يصفها قائلا:« ومن أعظم ما شاهدناه من عجائبها المنار الذي وضعه الله على يدي من سخر لذلك أية للمتوسمين، وهداية للمسافرين، لولاه ما اهتدوا في البحر إلى بر الإسكندرية، يظهر على أزيد من سبعين ميلا، ومبناه في غاية العتاقة و الوتاقة طولا وعرضا، يزاحم الجو سموا وارتفاعا، يقصر عنه الوصف، وينحسر دونه الطرف، الخبر عنه يضيق والمشاهدة له تتسع » [1].

[1]- ابن جبير، رحلة ابن جبير المسماة: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار. دار صادر بيروت 1959 ص 14-15

وبعد ثمانية أيام غادر الإسكندرية إلى القاهرة التي وقف فيها على مستشفى المجانين واصفا إياه قائلا:« ومما شاهدته أيضا من مفاخر هذا السلطان [1] المارستان الذي بمدينة القاهرة ، وهو قصر من القصور الرائقة حسنا واتساعا، أبرزه لهذه الفضيلة تاجُّرًا واحتسابًا أي طلبًا للأجر والتواب، وعيَّن قيّمًا من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير، ومكَّنه من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها، ووُضِعَتْ في مقاصير [2]ذلك القصر أسِرَّة يتخذها المرضى بكرة وعشية، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم »

ثم يصل صعيد مصر وتحديدا بلدة قوص، التي مر فيها بالصحراء الشرقية إلى البحر الأحمر، ليستقل سفينة من ميناء عيذاب، وهو المرفأ المعهود للحجاج على البحر الأحمر، ليصل إلى جدة، وأخذ قافلة إلى مكة، حيث أقام هناك حوالي نصف عام، ثم زار المدينة [3] وبإزاء هذا الموضع موضع مقتطف للنساء المرضى، ولهن أيضا من يكفلهن، ويتصل بالموضعين المذكورين، موضع آخر متسع الفناء، فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد، اتخذت محابس للمجانين لهم أيضا من يتفقد في كل يوم أحوالهم، ويقابلها بما يصلح لها.

1- يقصد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله.

2- المقاصير: النواحي والجوانب. مفردها مقصورة ومقصرة
ابن منظور: لسان العرب، مادة قصر 95/5 والمعجم الوسيط ص 739.

3- د/ محمد صادق عفيفي: تطور الفكر العلمي عند المسلمين ص 287.

ثم توجَّه ابن جبير بعد ذلك إلى الكوفة، وتوقف في بغداد وسامراء، فالموصل فحلب، ومنها انحدر إلى دمشق، التي أمضى بها بضعة أشهر قبل أن يغادر الأراضي الإسلامية؛ لأن سواحل الشام كانت آنذاك في أيدي الصليبيين.[1]

وقد تعرَّف ابن جبير على المشرق في عهد ازدهاره أيام صلاح الدين، فدوَّن مشاهداته بأسلوب بارع، فمن ميناء عكا ركب ابن جبير سفينته إلى صقلية، وبعد رحلة شاقة استطاع أن يتعرَّف على الجزيرة، فصوَّر الحضارة الزاهرة بها في عهد غليوم الصالح النورماندي، مؤكِّدًا أنها لا تزال إسلامية في المحلِّ الأول،

تحدث ابن جبير عن صقلية قائلاً: "وطول هذه الجزيرة... سبعة أيام، وعرضها مسيرة خمسة أيام، وبها جبل البركان المذكور، وهو يأتزر [2]بالسُّحب لإفراط سموِّه، ويُعَمُّ بالثلج شتاءً وصيفًا دائمًا، وخصب هذه الجزيرة أكثر من أن يُوصف، وكفى بأنها ابنة الأندلس في سعة العمارة، وكثرة الخصب والرفاهة، مشحونة بالأرزاق على اختلافها، مملوءة بأنواع الفواكه وأصنافها.[3]"

ثم عاد إلى غرناطة بطريق قرطاجنة عام 581هـ/1185م بعد غياب دام أكثر من عامين[4].

---

[1]- رحلة ابن جبير ص 26.
[2]- ائتزر به الشيء: احاط ابن منظور: لسان العرب مادة ازر4/16 والمعجم الوسيط ص 15.
[3]- رحلة ابن جبير ص 296.
[4]- د/ عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب ص 410.

2- الرحلة الثانية:

قام ابن جبير برحلته الثانية في عام 585هـ/ 1189م عندما بلغه نبأ فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي 583هـ/ 1187م، الذي تعلَّقت به آنذاك أنظار المسلمين كبطل يعرف كيف يحقق الإنتصارات، واستمرَّت هذه الرحلة سنتين[1].

[1]- ينظر:د/ عبد الرحمن حميدة: اعلام الجغرافيين العرب ص 410.

3- الرحلة الثالثة:

بدأت هذه الرحلة من سبتة عام 601هـ/ 1204م، وكان قد بلغ الثالثة والسبعين من عمره، وقد أحزنه وفاة زوجته، ونظم فيها ديوانه: (نتيجة وَجْدِ الجوانح في تأبين القرين الصالح)، ولم يرجع ابن جبير بعد رحلته الثالثة إلى مسقط رأسه، بل أمضى أكثر من عشرة أعوام متنقلاً بين مكة وبيت المقدس والإسكندرية، مشتغلاً بالتدريس والأدب، إلى أن لقي ربه عام 614هـ/ 1217م بالإسكندرية[1].

[1]- ينظر: المصدر نفسه ص 410.

ويمكنني القول أن ما يُمَيّز رحلاته أنها مكتوبة بشكل مذكرات يومية، مع وصف كل مشهد وكل بلدة مرَّ بها باليوم والشهر، ولم تكن في شكل كتاب بل كانت أوراقًا منفصلة، جمعها أحد تلاميذه، ونشرها في كتاب باسم: (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار)، ثم أُطلق عليها اليوم في عصرنا الحديث برحلة إبن جبير.

لذا صار كتاب (رحلة ابن جبير) من أهم المصادر الرئيسية للباحثين في كلٍّ من التاريخ والجغرافية والأدب، وبهذا يذكر آنخل جنثالث بالنثيا في كتابه (تاريخ الأندلس) أن رحلة ابن جبير أشبه ما تكون بمذكرات شخصية ويوميات سفر صيغت بأسلوب بارع وبكلام سهل بسيط الأحاسيس، فكانت رحلته ذات صفة أدبية، مع العناية بالرسم والوصف، والإهتمام بالمعاهد الثقافية وبالمدارس الدينية، ودراسة الأوضاع والعلاقات الإجتماعية، وهذا كله ينمُّ عن موهبة أدبية أصيلة، تضفي على الرحلة صفة التنوُّع والشمول.

المبحث الثاني:منهجها

لقد حرص ابن جبير على الإهتمام بتدوين رحلاته وكل ما جاء فيها من أوصاف ومعلومات حول البلدان التي مر بها، فافتتحها بالبسملة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، التي جعلها في سطر لوحدها، ثم تجول في العالم وسجل ملاحظاته تجاه ما شاهده من مناظر، وبهذا الصدد فقد كان بناؤه يشبه إلى حد كبير بناء الرسائل[1].

وجاءت ألفاظه دقيقة فصيحة منسجمة مع بعضها من حيث التركيب،وسمة الجزالة ذلك لأنه لغوي، وكاتب وشاعر، إضافة إلى تأثره الكبير بالقرآن الكريم وهذا ما اتضح لي، من خلال قدرته العجيبة على ترتيب الألفاظ وتنسيقها على وزن واحد، حيث نجد ذلك في وصفه لجنائز مدينة دمشق:« ونقباء الجنائز يرفعون أصواتهم بالنداء لكل واصل للعزاء من محتشمي البلدة وأعيانهم فتسمع ما شئت من صدر الدين أو شمسه أو بدره... أو بهائه وجماله أو مجده أو فخره» [2]

وكذلك في وصفه لمدينة نصبين التي استعان في وصفها العديد من الألفاظ الجزلة:« شهيرة العتاقة والقدم، ظاهرها شباب، وباطنها هرم جميلة المنظر، متوسطة بين الكبر والصغر، يمتد أمامها وخلفها بساط أخضر من البصر » [3]

وهكذا كانت ألفاظه جميلة اجتمعت فيها الجزالة مع سهولة المعاني التي خصت به رحلته.

---

[1]- رحلة ابن جبير ص 320.
[2]- ينظر: المصدر نفسه ص 268.
[3]- ينظر: المصدر نفسه ص 214.

كما يجدر الإشارة إلى أن هذا الأديب الرحالة قد رتب ألفاظه في جمل خبرية أحيانا قصيرة، وأحيانا أخرى طويلة، كقوله في وصف حضارة صقلية:« هي بهذه الجزائر أم الحضارة، والجامعة بين الحسنين غضارة ونضارة، فما شئت بها من جمال مخبر ومنظر، ومراد عيش يانع أخضر، عتيقة أنيقة، مشرقة مونقة » [1]

ومما لاحظته في رحلة ابن جبير أنها تتنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الوصفي، وما يميز أسلوب الكتابة القصصي عنده هو اعتماده على السرد المشوق بما قدمه من متعة ذهنية، حيث عمد في أسلوبه إلى الإقتباس من القرآن الكريم، والتأثر بآياته، والإستشهاد بالأشعار، كما جاء في وصفه لمدينة عكا:« هي قاعدة مدن الإفرنج بالشام، ومحط الجواري المنشآت في البحر كالأعلام[2]، مرفأ كل سفينة » [3]

وقد استشهد ببعض الأشعار كما ورد في حديثه عن ثورة الريح الشمالية والرياح العاصفة الغربية:

البحر مر المذاق صعب لا جعلت حاجتي إليه

ألـــيس ماء ونحن طــن فما عسى صبرنا عليه[4]

وغير ذلك الكثير من الإقتباسات، والأشعار المضمنة التي كان هدفه من إيرادها هنا تأكيد الكلام، وإثارة التشويق لدى القراء.

---

[1]- ينظر : المصدر نفسه ص 305.
[2]- سورة الرحمن الاية 22.
[3]- رحلة ابن جبير ص 276.
[4]- ينظر امصدر نفسه 288.

وإلى جانب هذا كله استخدم ابن جبير فنون البلاغة لدعم أسلوبه القصصي، وبخاصة السجع، والطباق، والتشبيه، وذلك بقصد إضفاء الحيوية، وإبعاد الملل الذي يحيط بالقارئ، حيث يشع السجع أو النثر المقفى في مواضع مختلفة من الكتاب، وذلك كما جاء في وصفه لمدينة منبج:« بلدة فسيحة الأرجاء، صحيحة الهواء، يحف بها سور عتيق ممتد الغاية والإنتهاء، جوها صقيل، ومجتلاها جميل، ونسيمها أرج النشر عليل »[1] كما ورد أيضا في وصف مدينة حلب:« بلدة قدرها خطير، وذكرها في كل زمان يطير، خطا بها من الملوك كثير، ومحلها من التقديس أثير »[2]

ونجد الكثير من هذه الجمل السجعية القصيرة والطويلة المحكمة في وصفه للبلدان والأشعار.

---

[1]- ينظر المصدر نفسه 223.

[2]- ينظر المصدر نفسه 225.

وقد لف الطباق معظم أوصاف ابن جبير التي أحاطت بأسلوبه القصصي السردي، حيث نجد الطباق قد توفر في وصفه لهيكل البربا الموجود في مدينة أخميم المصرية في قوله:« وداخل هذا الهيكل من المجالس والزوايا والمداخل والمخارج ،والمصاعد، والمعارج والمسارب والموالج ما تضل فيه الجماعات من الناس ولا يهتدي بعضهم لبعض إلا بالنداء العالي » [1]

ولا أنسى الحديث عن التشبيه والاستعارة اللذين سأورد أمثلة منهما للتدليل فقط ولا للحصر، ففي التشبيه نجد ابن جبير استخدمه في وصف مدينة رأس العين قائلا:« الله تعالى فجر أرضها عيونا وأجراها ماء معينا، فتقسمت مذانب وانسابت جداول تنبسط في مروج اخضر، فكأنها سبائك اللجين ممدودة في بساط الزبرجد » [2]

أما الإستعارة فتمثلت في وصفه لمدينة مكة:« ودخلنا مكة وكان أسراؤنا تلك الليلة المذكورة والبدر قد القي على البسيطة شعاعه، والليل قد كشف عنا قناعة » [3].

والى غير ذلك من الخيالات الأخرى التي لفت أوصاف الرحلة ، وكان القصد منها توضيح الحس القصصي في سرد الأحداث والمواقف والمشاهد التي تعمل على إثارة التشويق لدى القراء، وتعد أيضا دليلا على امتلاك الرحالة الأديب لناصية السرد، والقدرة على جذب الإنتباه وحسن الختام بشكل مميز ومؤثر في العواطف.

---

[1]- ينظر المصدر نفسه ص 37.
[2]- ينظر المصدر نفسه ص 217.
[3]- ينظر المصدر نفسه ص 58.

ليكون مسك الختام عاطفته المتجلية التي لم يغفلها اتجاه مشاهداته، حيث أظهر عاطفته الدينية القوية عند وصفه للمدن:« فكان يختم كل كلام بالدعاء إلى الله تعالى والتوكل عليه جل جلاله، وهذه العاطفة المتقدة دفعته إلى إرسال الأدعية للمدن التي مر بها. وقد كان يفتنه كل ما شاهده، فكل مشهد يقيد الأبصار ويستوقف المستوفز تعجبا » [1].

وسأخدها أمثلة من تلك الأدعية الصادقة لبعض المدن والمشاهد:« وقد كمل لنا بمكة شرفها الله تعالى فأوزعنا الله شكر هذه المنة وعرفنا قدر ما خصنا به من نعمة، وختم لنا بالقول وأجرانا على كريم عوائده » [2]

وكان الرحالة ابن جبير كلما مر بمدينة أو مكان دعا لهما بأن يشرفها الله تعالى أو يحرسها أو يحملها أو يعمره، وإذا كانت تلك المدينة التي مر بها من المدن التي تحت سيطرة الفرنجة، أو من المدن التي خرجت من يد المسلمين دعا عليها بمقولة(فتحها الله، أو أعادها الله تعالى) وكل هذه الأدعية كانت تنم عن عاطفة دينية قوية تصدر من أديب أحس بإسلامه وعروبته اتجاه مدنه العربية والإسلامية.

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه ص 06.

[2]- ينظر: المصدر نفسه ص 281.

المبحث الثالث: أهدافها

لا شك أن طبيعة الحياة العربية الإقتصادية وتطورها دفعت الإنسان للحركة والإنتقال والرحلة وراء سبل العيش والبقاء،حتى أضحت الرحلة سمة مميزة في حياته وتجلى ذلك في شعره، يقول ابن قتيبة:« وصف الرحلة احتل المرتبة الثالثة بعد بكاء الأطلال والنسيب[1] »

لذا تعددت الدوافع والأسباب للرحلة والإنتقال من مكان إلى أخر، ومن بلد إلى أخرى،ولكنها تختلف من شخص إلى أخر، ومن زمن لزمن، فمنها ما يكون بدافع ديني كرحلات الحج، أو علمي كرحلات المحدثين والفقهاء، أو سياسي كرحلات الوفود، أو اقتصادي كرحلات التجارة وغير ذلك[2].

وبعد هذا الطرح فان المقصد الأساسي لرحلة ابن جبير، مقصد ديني بالدرجة الأولى، الذي يتمثل في أداء فريضة الحج الركن العبادي الخامس من أركان ديننا الحنيف، وكان الحج من أهم العوامل التي شجعت المسلمين على الرحلة والإنتقال، والتوجه إلى المشرق الإسلامي على الرغم من المسافات الشاسعة التي تفصل بين المشرق والمغرب، ولكن الشوق والحنين وزيارة البقاع المقدسة، دفعت الأغلبية إلى الرحلة كما هو الحال بالنسبة لابن جبير من خلال رحلته المسماة:« تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار » أفضل المؤلفات الأدبية في فن أدب الرحلات في ثراتنا العربي والإسلامي، وقد عدها كراتشكوفسكي أنها بحق ذروة ما بلغه نمط الرحلة في الأدب العربي[3].

---

[1]- ينظر ابن قتيبة/ الشعر والشعراء- دار المعارف الجزء1 1966 ص 74.
[2]- كرحلات السياحة والعلاج والبحث عن ملاذ امن هروبا من الظلم والاضطهاد.
[3]- كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليانوفنس. تاريخ الادب الجغرافي العربي نقله عن الروسية صلاح الدين هاشم. دار الغرب الإسلامي بيروت ط2 1987.ص355.

وبغض النظر عن هذا فقد رصدت في رحلة ابن جبير كثيرا من القضايا السياسية والإدارية والتاريخية، كما وصف لنا الواقع الإجتماعي والإقتصادي والعقدي، ولا يكتفي ابن جبير أن يكون رحالة توثيقيا يسجل ما يشاهده ويراه فحسب، بل تقمص دور المصلح الاجتماعي في انتقاد الحكام في إدارة شؤون الناس، كما انتقد بعض العادات والتقاليد التي كان يمارسها الناس في بعض البلدان، وقد استطاع أن يصور المجتمعات الإسلامية وغيرها وما تمارسه من عادات وتقاليد تصويرا واقعيا دقيقا، معتمدا في ذلك على موهبته الأدبية وقدراته اللغوية والفنية، واستدل في تسجيل أخبار رحلته أول بأول، من خلال تأريخ الأحداث، ووصف المشاهد والآثار وصفا دقيقا، معبرا عما وقعت عليه عينه تعبيرا فنيا أدبيا، وقد وصفه باحث معاصر بأنه بلغ ذروة سامقة في أدب الرحلات[1]

ويمكن القول بعد هذا السرد المطول المنطوي ضمن أهداف رحلة ابن جبير، أنها تتصف بالبراعة الفنية والصياغة الأدبية التي تثير لدى القارئ بفضل خصائص صياغتها لصور خيالية، وانفعالات شعورية، وإحساسات فنية[2]

وقد اتخذت شكل مذكرات مسافر شاملة، مدونة وافية دون فيها تاريخ المدن والبلدان التي مر بها، وأسماء البارزين من العلماء والحكام، وأصل لبعض المصطلحات في عصره، مما اكسبه قيمة أدبية واضحة، وسمة جمالية فريدة[3]

---

[1]- حسين مؤنس/ تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس.معهد الدراسات الاسلامية. مدريد ط1 1967 ص 519.

[2]- الاستاذين لاسنون ومايبه/ منهج البحث في الادب واللغة. تعريب د. محمد مندور: نشر دار العلم للملايين- بيروت- 1949 ص 71.

[3]- هيثم سرحان/ رحلة ابن جبير والطريق الى بيت الله الحرام – مقارنة سيميائية مقالة في النت 2007

و على هذا الأساس يكون أدب الرحلات هو الأدب الذي يتعالى على أهدافه المعلنة وغاياته المحددة، إذ يكشف الهامشي والغامض ويرصد الثانوي ويساءل الواضح، فالرحالة لا يبصر التفاصيل والمشاهدات إبصارا آليا، ولا يراها رؤية الألفة والعادة، إنما يعتمد العين الثالثة التي تبصر وتنقب ما وراءها، وتكشف الغامض وتحيد سحر المجهول والغرائبي، ولعل هذا ما وفق فيه ابن جبير إلى حد كبير خلال تدوينه لرحلاته على اختلاف دوافعها ومساراتها.

الفصل الثاني

المبحث الأول: المظهر الاجتماعي

تعد حركة التداول الإجتماعي القائمة بين أفراد المجتمع الواحد، أو بين المجتمعات كلها واحدة من أبرز المشاهد التي وقفت عندها الرحلة الأندلسية، حيث رصدت الصور المتعددة لأشكال العلاقات الاجتماعية المتمثلة في العادات والتقاليد والأعراف ذات الشأن الكبير في إعطائي صورة واضحة عن أهم أسس البناء الفكري السلوكي للمجتمعات التي تعرف إلى حد بعيد بالعمق الثقافي، ومدى التقدم الحضاري.

وقد كان حديثي عن حياة الشعوب وعاداتها وتقاليدها وأعرافها وأخلاقها وطريقة لباسها وأحوالها المعيشية، اتجهت إلى استخلاص أسلوب الحياة في البلدان التي قصدوها من خلال استقرائي للواقع الإجتماعي والإقتصادي فهو القاسم المشترك لدى الجميع، وقد جاءت الصورة الإجتماعية التي أقدمها ضمن سياقات وأشكال متعددة في سياق الحديث عن العادات والتقاليد والملابس والأطعمة والأشربة، وعن تصرفات القوم في مناسباتهم الدينية والإجتماعية الأخرى.

1/ العادات والتقاليد:

نقل الرحالة نصوص رحلاتهم من خلال ما رأوه، أو عايشوه وألقوا الضوء على كثير من عادات وتقاليد الشعوب التي نزلوا في بلادها من زواج وأعياد وأطعمة و أشربة وملابس وأحكام وأعراف وجنائز، وتمكنت من رصدها في نصوصهم المدونة، وعكست فيها صورا لأشكال الحضارة والتقدم في مختلف البلدان التي توجه إليها الرحالة.، لذا كانت الرحلة سلسلة من سلاسل العقد الإجتماعي الذي يعمل على الربط والتلاقح بين مختلف الثقافات، كما تعمل على الإمتزاج بين الشعوب من خلال التحاور الفكري لتكون بذلك خير وسيلة للتقارب والتواصل بين الأمم.

وهذا ما أوضحه لنا ابن جبير في وصفه عادة أهل الشام في السلام، التي تأخذ هيئة الإنحناء كما يفعل في الركوع والسجود، وعبرت بشيء من الإمتعاض في قوله:« وصفة سلامهم إيماء للركوع أو السجود، فترى الأعناق تتلاعب بين رفع وخفض، وبسط وقبض، وربما طالت بهم الحالة في ذلك. وهذه الحالة من الإنعكاف الركوعي في السلام كنا عهدناه لقينات النساء[1] » وكذلك عادة المشي عندهم، حيث يقول:« ومن عجيب حال الصغير عندهم والكبير، بجميع هذه الجهات كلها، أنهم يمشون وأيديهم إلى خلف قابضين بالواحدة على الأخرى، ويركعون للسلام على تلك الحالة المشبهة بأحوال العناة مهانة واستكانة [2]» إلا أن القوم يعتقدون أن هذه الهيئة تبعث فيهم الراحة والنشاط، كما أنها تدل على نوع من التميز الإجتماعي.

ومن الملاحظ الإهتمام بكافة أشكال العادات والتقاليد التي يتشكل منها النسيج الاجتماعي للأمم سواء على المستوى الجماعي أو الفردي، مما ساعدني في تكوين فكرة عن هذا البناء الاجتماعي وسبر أعماقه، لاستجلاء الحقائق وقراءة الواقع بشكل واع.

---

[1]- ابن جبير، تذكرة الأخبار ص 230

[2]- المصدر نفسه ص 230

كما أثارت بعض التصرفات الاجتماعية في نفس ابن جبير العجب والدهشة من وجودها والتعامل بها:« ومن أعجب ما شاهدناه من أحوالهم التي تقطع النفوس إشفاقا وتذيب القلوب رأفة وحنانا أن أحد أعيان هذه البلدة وجه إبنه إلى أحد أصحابنا الحجاج راغبا في أن يقبل منه بنتا بكرا صغيرة السن قد زاهقت الإدراك، فان رضيها تزوجها وان لم يرضها زوجها ممن رضي لها من أهل بلده، ويخرجها مع نفسه راضية بفراق أبيها وإخوتها طمعا في التخلص من هذه الفتنة ورغبة الحصول في بلاد المسلمين[1] » وهذا ما يشير إلى واقع مظلم فاقد لحوافز الأمان الاجتماعي في مجتمع يرضى فيه الرجل تزويج ابنته دون شروط أو معرفة سابقة فيمن ستكون تحت جناحه. وتحدثت أيضا عن انتشار ظاهرة شراء الغلمان والجواري التي تعد من المظاهر الاجتماعية الشائعة عند بعض المجتمعات التي قصدوها حتى إن بعضهم قام بشراء بعض الجواري للحصول على خدمتها والزواج منها، ومثال ذلك بلاد الصقالبة بها يشتري كل شيء من الجواري والغلمان[2].

وقد تستخدم الجواري للقيام بوظائف متعددة تؤديها لمالكها منها ما يسيء إلى الخلق الكريم ويخدش الحياء الإنساني.

---

[1]- ابن جبير: تذكرة الأخبار ص 264.

[2]- ينظر: الغرناطي أبو حامد محمد/ رحلة تحفة الألباب ونخبة الإعجاب/ حررها قاسم وهبي. دار السويدي للنشر والتوزيع .أبو ظبي ودار الفارس للنشر. عمان. ط1 .ص 136.

ومن العادات التي ارتأيت أثرها النفسي واضحا عند الرحالة، هي التي حفزت لديهم كوامن النفور وعدم الرضا، وقد يعود ذلك إلى طبيعة التكوين النفسي، أو أن في ذلك ما يخالف النواميس الدينية والإجتماعية التي اعتادوا عليها في مجتمعاتهم، لذلك وجدت تلك النبرة الحادة والمبالغة في نبدها وإنكارها، كما هو الحال في حديث ابن جبير عن أهل بغداد وما يتمتعون به من صفات استقرت في سلوكهم حتى غدت لهم عادة بها يمتازون، فهم موطن للتصنع والنفاق وعدم الإرفاق:« يتبايعون بينهم بالذهب قرضا... فالغريب فيهم معدوم الإرفاق، متضاعف الإنفاق، لا يجد من أهلها إلا من يعامله بنفاق، أو يهش إليه هشاشة انتفاع واسترفاق، كأنهم من التزام هذه الخلة القبيحة على شرط اصطلاح بينهم اتفاق، فسوء معاشرة أبنائها يغلب على طبع هوائها ومائها[1] » .

ووصفه كثيرا من عادات الملوك والسلاطين للبلدان التي زارها وتحدثه عن هيئاتهم وحاشيتهم ومآكلهم وأزيائهم وطرائق استقبالهم والإحتفاء بهم، فملك صقلية (غليام) له القصور المشيدة، وهو كثير الإتخاذ للفتيان والجواري[2].

كما أظهرت أيضا من خلال رحلة ابن جبير عادات أهل دمشق في تشييع جنائزهم، حيث يتقدم الجنازة قراء يقرؤون القرآن بصوت مرتفع يبعث على الشجى والبكاء، فإذا وصلوا إلى باب المسجد الأموي قطعوا القراءة.

وبعد الانتهاء من إجراءات الدفن يجتمع أهل المتوفى بالبلاط العربي، ويشير ابن جبير في هذا السياق إلى ما يسمى بـ: نقباء الجنائز ووظيفتهم رفع أصواتهم لكل واصل إلى العزاء[3]

---

[1]- ابن جبير: تذكرة الأخبار ص 170.
[2]- المصدر نفسه ص 251.
[3]- المصدر نفسه ص 299-230.

2/الأطعمة والأشربة والملابس:

لقد أسهمت كتب الرحلات في الكشف عن كثير من مواطن الإتفاق والإختلاف بين الناس عموما في الأطعمة والأشربة والعادات والتقاليد المتبعة، فقد أظهرت أن الإختلاف في الشؤون الإجتماعية والإقتصادية لبعض البلدان هم من أهم أسباب التفاوت أحيانا، فالسلاطين والملوك لهم عادات تختلف عن العامة في النوع والطريقة والتقديم، وكان طعام بعض السلاطين على صنفين، طعام للعامة وطعام للخاصة، لكل منهما طريقة خاصة وطقوس معينة في التناول، ولكل إنسان من الطعام مجلس معين لا يتجاوزه ولا يزاحمه عليه احد[1].

كما يقول ابن خلدون في وصف سلطان المغول:« متكئ على مرفقه، وصحاف الطعام تمر بين يديه، يشير بها إلى عصب المغول جلوسا أمام خيمته[2] »

كما وقفت على أنواع الأطعمة السلطانية وطرائق تناولها، وهذا ما تجلى في ذكر لسان الدين بن الخطيب في وصف أنواع الطعام والشراب التي ملأت موائد أهل جبل هنتانة ترحيبا بقدومهم، حيث يقول:« ولم يكد يقر القرار، ولا تنزع الخفاف، حتى غمر من الطعام البحر، وطما الموج ووقع البهت، وأمل الطحو، ما بين قصاع الشيزى أفعمها الثرد وهيل بها السمن، وتراكبت عليهما السمان الحملان الأعجاز... إلى السمك الرضراض والدجاج فاضل أصناف الطيار، تم تتلوها صحون نحاسية تشتمل على الطعام خاص من الطير والكباب واللقالق[3] »

1- ينظر: الشوابكة: نوال عبد الرحمن/ أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري. دار المأمون للنشر والتوزيع عمان. وزارة الثقافة ط1 2008.ص 166.

2- ابن خلدون/ التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا.علق عليها محمد ابن تاويت الطنجي وقدم لها نوري الجراح. دار السويدي للنشر أبو ظبي. ودار فارس عمان.ط1 (د.ت)ص403.

3- ابن الخطيب/ رحلة خطرة اللطيف في رحلة الشتاء والصيف. تحقيق وتقديم احمد مختار العبادي. المؤسسة العربية للنشر بيروت. دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي. دار الفارس للنشر والتوزيع عمان. 2003.ص 177.

ومن بين عادات بعض الشعوب في إعداد الطعام وتناوله نجد الأتراك لهم في الطعام طرائق لصنعه وتناوله كما يذكر لسان الدين بن الخطيب عقب تناوله الطعام عند أهل جبل هنتانة: « ويتلو ذلك من أصناف الحلواء بين مستبطن للباب البر، ومعالج بالقلو » [1]

كما أشرت إلى الملابس والى وصف تقاليدها وطقوسها، وإبراز التنوع والإختلاف في الزي بين مكان وآخر وبين طبقة وأخرى.

وهذا ما جاء على لسان ابن جبير بوصف زي عروس إفرنجية في مدينة صور:« وهي في أبهى زي وافخر لباس، تسحب أذيال الحرير المذهب سحبا على الهيئة المعهودة من لباسهم، وعلى رأسها عصابة ذهب قد حفت بشبكة ذهب منسوجة، وعلى لبتها مثل ذلك منتظم، وهي رافلة في حليها وحللها، تمشي فترا في فتر مشي الحمامة، أو سير الغمامة » وهذا تقليد يتعلق بمناسباتهم الخاصة، أما المناسبات العامة كالأعياد، وغيرها فلباسهن كلباس المسلمات لا يختلف، ووصفه أيضا زي النصرانيات:« وزي النصرانيات في هذه المدينة زي نساء المسلمين، فصيحات الألسن، ملتحفات، متنقبات، خرجن في هذا العيد المذكور وقد لبسن ثياب الحرير المذهب، والتحفن اللحف الرائقة، وانتقبن بالنقب الملونة،وانتعلن الأخفاف المذهبة[2] »

---

[1]- ابن الخطيب/ رحلة خطرة اللطيف في رحلة الشتاء والصيف. تحقيق وتقديم احمد مختار العبادي. المؤسسة العربية للنشر بيروت. دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي. دار الفارس للنشر والتوزيع عمان. 2003.ص 177.

[2]- انظر: ابن جبير تذكرة الأخبار ص 257.

إن ما قدمته من عادات وتقاليد الأمم في مأكلها ومشاربها حمل في ثناياه كثيرا من دلالات التفاعل والتلاقي الحضاري، حيث تتبادل فيما بينها، وتتطلع على ثقافات بعضها البعض، ولذلك عدت الرحلات شاهدا على جزء ليس باليسير على نمو كثير من عادات الشعوب والتلاقح فيما بينها.

وبهذا قد بينت ردود أفعال الرحالة الأندلسيين فيما يتعلق بالمشهد الإجتماعي من عادات وتقاليد وأعراف تراوحت ما بين الرفض لبعض تلك العادات وقبولها، فابن جبير ساءه وأدهشه ما وجده عند أهل- صور- من عادات و ممارسات في مناسباتهم الدينية وتقاليدهم وأعرافهم الإجتماعية.

المبحث الثاني: المظهر الديني

ركزت الرحلات على العلاقة المتبادلة بين المكان والإنسان، ومن صور هذه العلاقة نجد صور الحياة الإجتماعية والدينية، والتأثير الديني الذي شكل ركيزة أساسية من ركائز الصورة الكلية للأخر، كما ألقت الضوء على أمور عيش الرحالة وأحوالهم المتباينة ما بين الغنى والفقر والعبودية.

قد كان المشهد الديني من الأمور المهمة التي نالت نصيبا كبيرا من اهتمام الرحالة الأندلسيين، وهناك الكثير من المشاهد التي تكونت من خلال الصورة العامة للآخر، حيث تناول الرحالة هذا الجانب أداء وممارسة وتفاعلا إيمانا بأهمية هذا العامل في زرع نوازع البحث في الماهية الدينية، وإماطة اللثام عن كثير من الممارسات العقدية التي أسهمت في الكشف عن كثير من مناطق الالتقاء في المنظومة الدينية لكافة الشعوب.

1/ المسلمون :

إن الرحالة ابن جبير في تنقله شرقا وغربا خاض تفاصيل المشهد الديني عند الشعوب التي ارتحل إليها، وكان له في هذا السياق نظرته إلى الواقع الديني المعاش هناك، وقد حملت أحكامه في بعضها روح الإنحياز والإنتماء إلى موطنه، فكانت بعضها تنطلق من وازع نفسي أثارته طريقة التعامل مع المسلم من غير الجهات المشرقية، فكانت ألفاظه وعباراته مبنية على المبالغة، فهو لا يرى إسلاما إلا في المغرب، حيث يقول: « وليحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الإعتقاد انه لا إسلام إلا ببلاد المغرب[1] » ومن الأمثلة التي تشير الى ما ذهب إليه ابن جبير في أحكامه حديثة عن اهل عيذاب فيقول:« ولأهل عيذاب في الحجاج أحكام الطواغيت، وذلك أنهم يشحنون بهم الجلاب حتى يجلس بعضهم على بعض وتعود بهم كأنهم أقفاص الدجاج المملوءة، يحمل أهلها على ذلك الحرص والرغبة في الكراء حتى يستوفي صاحب الجلبة منهم ثمنها في طريق واحد ولا يبالي بما يصنع البحر بها بعد ذلك، ويقولون: علينا بالألواح، وعلى الحجاج بالأرواح، وهذا مثل متعارف بينهم [2]، ولهذا قال فيهم:« وهذه الفرقة من السودان المذكورين فرقة أضل من الأنعام سبيلا واقل عقولا لا دين لهم سوى كلمة التوحيد التي ينطقون بها إظهارا للإسلام[3] »

---

[1]- ابن جبير تذكرة الأخبار ص 64.
[2]- ابن جبير تذكرة الأخبار ص 58.
[3]- المصدر نفسه ص 59.

أما مكة فقد كان المشهد الديني من أكثر المشاهد التي أطال فيها الرحالة الأندلسيون و ذلك من خلال أداء الشعائر الدينية و قيامهم بالإعتناء بكل المظاهر الدينية وما يرافقها من عادات مرتبطة بالوازع الديني وما اتصل بها من معتقدات شعبية.

وقد وفق ابن جبير عند الجانب الإعتقادي عند أهل مكة من خلال وصفه بعض العادات الدينية ذات صلة بالمعتقد الشعبي لديهم، ومنها غسل البيت بماء زمزم، إذ يقول:« فيتحرى غسله تكريما وتنزيها وإزالة لما يحيك في النفوس من هواجس الظنون فيمن ليست له ملكة عقلية تمنعه من أن تصدر عنه حادثة نجس من ذلك الموطن الكريم والمحل المخصوص بالتقديس والتعظيم، فعند انسياب الماء عنه كان كثير من الرجال والنساء يبادرون إليه تبركا بغسل أوجههم وأيديهم فيه » [1]

بالاضافه إلى ذكره لعاداتهم الدينية إبان تساقط المطر ويقفون متجردين من ثيابهم تحت عمود يقع بجانب الغار الذي آوى الرسول ويتبركون بالماء الذي ينزل من الكف الواقعة في أعلى العمود:« وتبادر الناس إلى الحجر فوقفوا تحت الميزاب المبارك متجردين من ثيابهم، يتلقون الماء الذي يصبه الميزاب برؤوسهم وأيديهم وأفواههم مزدحمين عليه ازدحاما عظيما[2] »

وفي هذا السياق اظهر لنا ابن جبير الأخلاق السمحة والحميدة، لأهل مكة وقيامهم بخدمة البيت الكريم، ولهم في رمضان أفعال كريمة تدل على عمق اهتمامهم بهذا الجانب، منها تزيين الأسواق وضرب الطبول والتهليل والتكبير وقت الطواف[3]،وكذلك مصافحتهم لبعضهم في العيد:« وأقبل الناس بعضهم على بعض بالمصافحة والتسليم والتغافر والدعاء مسرورين جذلين فرحين[4] »

---

[1]- المصدر نفسه ص 111.
[2]- المصدر نفسه ص 94.
[3]- ينظر: المصدر نفسه ص 111-115
[4]- المصدر نفسه ص 125.

جاء الحديث عن المشهد الديني الإسلامي وما يدور داخل الرواق الإسلامي من الصراعات المذهبية وأهمها الصراع الإعتقادي الحواري الحاصل بين السنة والشيعة الذي قد يصل أحيانا إلى ما يسمى بالعنف المذهبي، كثرت أيضا الخلافات المذهبية الحاصلة بينهما، والتنافس في إثبات الأحقية في تولي أمور الدين، ومثال ذلك ما أوردته عن ابن جبير من خلال رحلته عندما كان في مكة وقت حلول شهر رمضان:« وكان أهل مكة يوم الأحد بدعوى في رؤية الهلال لم تصح، لكن أمضى الأمير ذلك ووقع الإيذان بالصوم بضرب دبادبه ليلة الأحد المذكور لموافقته مذهبه ومذهب شيعته العلويين ومن إليهم، لأنهم يرون صيام يوم الشك فرضا » [1]

هناك الواقع الذي عاشه المسلمون تحت الحكم النصراني في مدينة مسينة من خلال قول ابن جبير:« وليس في مسينة هذه من المسلمين إلا نفر يسير من ذوي المهن ولذلك يستوحش بها المسلم الغريب... ولهم فيها المساجد والأسواق المختصة بهم في الأرباض كثير[2]، ويروي ابن جبير حسن استعمال ملك صقلية للمسلمين: فهو كثير الثقة بالمسلمين[3]، ومدينة شفلودي[4] تسكنها طائفة من المسلمين. أما في ثرمة فالمسلمون يقيمون على ربض كبير ولهم فيه المساجد[3] » [5]

---

[1]- ابن جبير، تذكرة الأخبار ص 114.

[2]- المصدر نفسه ص 251.

[3]- ينظر: المصدر نفسه ص 251

[4]- مدينة بجزيرة صقلية كثيرة الخصب واسعة المرافق منتظمة الأشجار والأعناب وغيرها. مرتبة الأسواق، وفيها جبل عليه قنة فيها قلعة لم يرا منع منها . انظر: الحميري/ الروض المعطار في خبر الأقطار .تحقيق إحسان عباس بيروت. ط .1 1975

[5]- ابن جبير ، تذكرة الأخبار ص 254.

وبهذا كان وقوفنا على شيء من التفصيل في مجمل المواقف الدينية، ولاسيما عند اصغر جزئياتها بالإضافة إلى ذلك الحس الإيماني الذي كان يعمر أفئدة الرحالة.

2/ النصارى:

أما الطرف الآخر من معادلة المشهد الديني فهو الديانة النصرانية، وهو النص الديني الذي حمل في سياقاته كثيرا من توجهات وآراء أصحابه فيما يتعلق بالنصارى دينا ومنهج حياة في مختلف المواضع التي حل فيها الرحالة.

ومن خلال ذلك قد أكثر ابن جبير في وصف الأماكن الدينية، حيث نجده يتحدث عن كنائس ومصانع في مدينة اخميم، ومنها الهيكل الواقع في شرقي المدينة:« وهو من أعظم الهياكل المتحدث بغرائبها في الدنيا وداخل هذا الهيكل من المجالس والزوايا والمداخل والمخارج والمصاعد والمعارج[1] »

أما مدينتا عكا وصور فتعدان موطن النصارى في المشرق، وقاعدة مدن الإفرنج بالشام، ومركز الكفر والطغيان، ولذلك دائما اقترن ذكر احدهما عند ابن جبير باللازمة الدعائية « دمرها الله[2] » وهذا بطبيعة الأمر نابع من الإحساس بالنزاع بين ماض يحمل في ثناياه صور السيادة الإسلامية وواقع يستعر فيه الكفر ويعاني من ضياع الحس الإسلامي، وهذا بدوره أسهم في تمخض الشعور بالفقد والتسلط وسريانهما في عباراته الوصفية الدينية حينما أبصر الواقع الممسوخ لتلك المدن.

---

[1]- ابن جبير. تذكرة الأخبار ص 50-51.

[2]- المصدر نفسه ص 235- 236.

ثم جاء الحديث عن العلاقة بين المسلمين والنصارى التي يغلب عليها - أحيانا - العصبية الدينية. ففي مدينة مسينة يذكر ابن جبيران النصارى يفرضون على المسلمين إتاوة، ويحولون بينهم وبين أرضهم التي يجدونها.

ويفصح عن التعايش الديني بين المسلمين والنصارى في مدينة بانياس(*)، إذ يقول:« ولها محرث واسع في بطحاء متصلة وعمالة تلك البطحاء بين الإفرنج والمسلمين، لهم في ذلك حد يعرف بحد المقاسمة، فهم يتشاطرون الغلة على استواء، ومواشيهم مختلطة، ولا حيف(*) يجري بينهما فيها » [3].

وقد نسقت الشريعة الإسلامية طرائق العلاقة والتعامل بين أصحاب الديانات، كما أشار بالنص إلى وحدة الديانات، فأورد الله تعالى في القران الكريم:« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » سورة الشورى -**13**-

*- مدينة قريبة من دمشق هي ثغر بلاد المسلمين، وهي صغيرة ولها قلعة يستدير بها نهر يفضي إلى احد أبواب المدينة، وكانت بيد الإفرنج فاسترجعها نور الدين زنكي، ولها محرث عظيم واسع في بطحاء متصلة. انظر: الحميري الروض المعمار في خبر الأقطار. تحقيق إحسان عباس بيروت. ط1. 1975. ص 74.

*- الميل في الحكم، أو الجور والظلم. ابن منظور. لسان العرب . مادة (حيف).

3- ابن جبير . تذكرة الأخبار ص 233.

وبعد هذا استطعت من خلال إيرادي للمسألة الدينية لدى كثير من الشعوب أن ارسم الإطار العام للثقافات المتباينة التي تنبع منها كثير من التصرفات والعادات المتداولة ضمن المنهج الحياتي، وأوجدت لمن تلاهم بوادر التفاعل الثقافي بين الأمم ولم يكن شعورا باطنا بل هدف بصورة واضحة، حققته من خلال ما قدمته من تفاصيل عامة لحياة الآخر، اجتماعيا ودينيا وثقافيا، وكان لي استدلالات ثابتة تنبع من صميم قراءتي الواقع الذي عاشوه الرحالة وصوروه في كتبهم.

المبحث الثالث: المظهر الثقافي

تبوأ الرحالة العرب في مجال التعرف إلى العالم موقعا مركزيا في بنية الثقافة العربية، وحفلت مدوناتهم بالصور الحية عن الشعوب التي زاروها في أوروبا وشرق آسيا وفي إفريقيا، عكسوا فيها طريقة نظر الثقافة العربية اتجاه الآخر ودرجة اعترافها به كشريك في عمارة الأرض. وسأبين صورة الأخر في عدة مشاهد من خلال الحديث عن مناحي الحياة المختلفة للرحالة وجل ما عاشوه سماعا ومشاهدة، بالإضافة إلى الموقع الجغرافي والبيئة المكانية التي أسهمت بشكل جزئي في رسم الملامح العامة لحياتهم وذكر الجوانب الإجتماعية والدينية والثقافية، وما لها من معلومات وإيضاحات لها اثر كبير في إزالة كثير من مواطن الغموض.

ولقد ظهر اهتمام الرحالة بالجانب الثقافي عند الأقوام التي قصدوها في أماكن متباينة من خلال ما حملته كتاباتهم من تفصيلات وإشارات للمنجز البشري على المستوى المعرفي في العلوم والآداب، وكان لهم لمسات واضحة في رصد الحركة الثقافية تمثلت في ذكر المدارس الأدبية والدينية التي عمرت في بنية الثقافة أمدا طويلا وشكلت تاريخا ثقافيا مهما، وكان لها دور واضح في حفظ الإرث الثقافي كالمدرسة النظامية في بغداد والمدرسة المالكية في دمشق، وحظت بالإهتمام المتمثل في إقامة بعضها في أماكن العبادة، وكذلك رصدي لها حيثما حلوا، وتشكيلي بالذكر أسماء الأدباء والفقهاء القائمين على شؤون التعليم جانبا من جوانب الحركة الثقافية في كتب الرحلات، وكذلك تسجيلي بعض المؤلفات والكتب وتوثيق مسمياتها. كما حملت كتب الرحلات إشارات تدل على المنهج التعليمي في بعض البلدان الإسلامية التي تتمثل في الإعتماد على القرآن كمصدر أساسي ينهل من معينه كل طالب للعلم والمعرفة، ففي كل حلقة من حلقات العلم يقرؤونه ويتدارسونه.

وعلى الرغم من ذلك فإن صورة المشهد الثقافي لم تكن واضحة ومتكاملة، على عكس ما كان عليه الحال في المشهدين الإجتماعي والديني، الذين أولاهما الرحالة جل عنايتهم بالتوضيح والتفصيل،حتى أنني أجد أحيانا يفسرون ويبررون عادة وينبذون أخرى[1].

[1]- ينظر: حليفي شعيب/ الرحلة في الأدب العربي، التجنس آليات الكتابة. خطاب متخيل. الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.2002ص 296.

أما بالنسبة لرحلة ابن جبير أشار إلى انتشار المدارس والمجالس والزوايا والمحاضر التي تعنى بتعليم القرآن، ففي حديثه عن مناقب الإسكندرية تطرق للحديث عن مدارسها ومحارسها[1] بالمرتبة الأولى، وهذا دلالة بينة على اهتمامه الشديد بالجانب الثقافي في تلك البلاد يقول:« ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانه: المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطب والتعبد،يفدون من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوي إليه ومدرسا يعلمه الفن الذي يريد تعلمه[2] »

أما المشهد الثقافي في مكة فقد اكتسب الحديث عنه تكريما وتعزيزا، وذلك لأن التدريس وحلقات العلم كانت تقام في الحرم الشريف،وابرز في حديثي اهتمامه بالعلم والعلماء وتبجيلهم بأنه استثنى أصحاب العلم والمعرفة من وصفه له بالطلل الدارس والأثر الطامس، ونزههم عن بقية أهلها الذين يتصفون بالرياء والعجب والكبرياء وازدراء الغرباء[3]، واستخلاصه المنهجية التي تقوم عليها أساليب التعليم، إذ تبتدئ بقراءة القرآن من قبل قراء يجلسون على كراسي موضوعة، ومن ثمة يقوم الإمام بالخطبة وتفسير كتاب الله والإيضاح لكل ما يعرض عليهم من مسائل، حيث يقول:« فأول ما شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الإمام رضي الدين القز ويني، رئيس الشافعية، وفقيه المدرسة النظامية » [4]

---

[1]- ينظر: مأوى مخصص للدارسين والزهاد والمسافرين. ابن جبير، تذكرة بالأخبار ص 33.

[2]- ينظر: المصدر نفسه ص 33.

[3]- ينظر: المصدر نفسه ص 170.

[4]– هي المدرسة التي بناها نظام الملك الوزير السلجوقي ببغداد سنة 457هـ/ 1065م. انظر: معروف ناجي. علماء النظاميون ومدارس الشرق الإسلامي. مطبعة الإرشاد. بغداد 1973 ص 19.

ويشير أيضا إلى حضوره مجالس الإمام الفقيه جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي ، متحدثا عن خصاله الحميدة، والمنهج الذي يتبعه في مجلسه، فبعدما ينهي القراء قراءتهم يقوم بإيراد خطبته التي تملأ أصداف الأسماع دورا - كما يقول – حيث يتخللها تدبرا آيات الله وتفسيرها، ويزينها برقائق الوعظ.

كما وجدت بعض مجلسه ينشد أشعارا من النسيب الممزوجة بتباريج الشوق المصوغة بعبارات الوجد:

أيـــن فــؤادي أذابه الوجد **** وأين قلبي فما صحا بعد

يا سعد زدني جوى بذكرهم**** بالله قل لي فديت يا سعد[1]

منوها أن عدد المدارس في بغداد بلغ نحو ثلاثين مدرسة، ويقول فيها:« وما منها مدرسة إلا وهي يقصر القصر البديع عنها وأعظمها واشهرها النظامية التي بناها نظام الملك ... ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير إلى الفقهاء المدرسين بها، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم، ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد » [2]

وكذلك في حديثه عن دمشق وجامعها ويقدم صورة موجزة عن الملمح الثقافي المتمثل في مدارسها وكثرتها:« وبهذه البلدة نحو عشرين مدرسة، وبها مارستانان قديم وحديث... وهذه المارستانات مفخر عظيم من مفاخر الإسلام، والمدارس كذلك. ومن أحسن مدارس الدنيا منظرا مدرسة نور الدين[3].

---

[1]- انظر: المصدر نفسه ص 174.
[2]- ابن جبير: تذكرة الأخبار ص 180.
[3]- ينظر: المصدر نفسه ص220-221.

والدور الذي يضطلع به القائمون على البلد بتوفير محاضر كبيرة لتعليم الأيتام من الصبيان. والمنهج المتبع في التعليم، فيقول:« وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها إنما هو تلقين، ويعلمون الخط في الأشعار وغيرها، تنزيها لكتاب الله عن ابتذال لصبيان له بالإثبات والمحو » [1]

ولم يكن للمدارس والمجالس العلمية حضور يذكر في البيئات الإنسانية التي انتهت إليها مقاصد الرحلة الأندلسية في أصقاع مختلفة من أوروبا وبلاد الهند والصين، إذ لم يتجاوز حضورها مستوى الذكر في المواضيع القليلة التي وردت فيها، وقد مثلت المشهد الثقافي في كتب الرحلات في وجوه متنوعة، ولم يقتصر على ذكر المدارس والحديث عن أساليب التدريس فيها أحيانا، ومن هذه الوجود الحركة العلمية التي اشتملت على ذكر أسماء الأدباء والفقهاء، كما حملت الكتب الرحلية أسماء عدد من الكتب والمؤلفات.

ومن الجدير ذكره أن الرحالة الأندلسيين اهتموا بالحركة الثقافية في بلدان المشرق العربي أكثر من غيرها من البلدان التي قصدوها من أوروبا والهند والصين، وذلك يعود إلى الأندلسي يرى نفسه جزءا من تلك البلاد، ولم تنقطع صلته الثقافية بها في يوم من الأيام، لذا ظلت الرحلة العلمية الى المشرق المصدر الأساسي للعلم والمعرفة، إضافة إلى أنهم عرب أصحاب ثقافة عربية تجمعهم والمشرق وحدة الموروث الثقافي ووحدة التعبير[2]

إلا أن هذا لم يمنعني من النظر إلى بعض الجوانب غير المثقفة على الصعيد الديني او حتى السلوكي كما بينته في بعض المواطن.

---

[1]- انظر: المصدر نفسه ص 211.

[2]- ينظر: عباس إحسان . تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة. دار الثقافة بيروت ط7. 1985ص 127.

وأخيرا كاستنتاج جزئي:اتضح لي انه لم يسفر ما قدمته عن رؤية واضحة وتفصيل عميق للجانب الثقافي للبيئات الإنسانية التي قصدها الرحالة وعايشوها في أصقاع مختلفة حيث كانت الصورة الثقافية محصورة في المعرفة الدينية من المشهد الثقافي الكلي، إذ انصب اهتمامهم بذكر الفقهاء والقضاة والوعائظ واللقاء بهم. حتى إن ما ذكرته كتبهم اتسمت بالطابع الديني فقط .

فالرحالة الأندلسي لم يتبع الحركة الثقافية في تلك البلاد ولم يتناول تفصيلاتها، وقد يكون هذا عائدا إلى سبب من اهتمامهم بالجوانب الإجتماعية والدينية بكل سماته العرقية والقومية والدينية، فهو حين قرر خوض تجربته لم يرتسم في ذهنه ومخياله غير منظومة العادات والأعراف والتكوينات الإجتماعية والبينية الدينية.

خاتمة

آمل أن تكون هذه الدراسة قد قدمت تصورا واضحا عن أدب الرحلة الأندلسية،من خلال تتبع أخبار الرحالة، وتراجمهم وأشعارهم التي قالوها، واثر الترحال بصورة مباشرة أو غير مباشرة، مع إلقاء الضوء على فن الرحلة عند ابن جبير، باعتقادي أن هذا الفن يعكس البيئة بمختلف صورها وأشكالها.

1- الرحلة الأندلسية وثيقة حضارية وثقافية وأدبية، كان لها دور في التقريب بين المشرق والمغرب، عن طريق شكلها الفني الجذاب، الذي رصد معالم الحضارة والثقافة في كل مكان.
2- لعبت الرحلة دورها في تراجم الأعلام، شاهدوا من خلالها ظروف حياتهم، مما جعل لهذه التراجم خصوصية تختلف عما تضمنته كتب التراجم والطبقات.
3- الرحلة رسالة يشعر الأديب انه يؤديها على وجه من الوجوه المحمودة، وهذه الرسالة مأخوذة من حياة المجتمع الصغير الذي يعيش فيه الرحالة، ثم حياة الأمة التي ينتمي لها في خلق قنوات الاتصال.
4- تعتبر رحلة ابن جبير من أهم المصادر التي تؤرخ للعالم الإسلامي في القرن السادس الهجري، من الناحية السياسية والإقتصادية، الإجتماعية والثقافية.
5- صاغ أسلوبها بلغة سهلة مشوقة تتسم بحسن السرد ودقة الوصف ورشاقة العبارة، روعة التصوير، حلاوة البيان وخفة السجع مما اكسبها سمة الأدبية والقيمة الفنية.
6- لعب البعد المكاني دورا أساسيا في رحلة ابن جبير، وذلك بالتضافر مع عنصري افقه الزمان والشخصية، واستطاع أن ينوع في أساليب تشكيل المكان بالأساليب السردية، فنص الرحلة يكاد يكون سرديا بامتياز، بتعدد المستويات الوصفية، والتصوير الفني.

7- إضفاء الرحالة الأديب ابن جبير القيم الروحية والمشاعر الإيمانية، التي تجسدت في مضامينها مما أضفى عليها جمالية خاصة، اكسبها سمة مميزة في الأدب الإسلامي.
8- وصف في مجمل رحلاته كل ما مر به من مدن، وما شاهد من عجائب البلدان، وغرائب المشاهد وبدائع المصانع والصنائع، والأحوال السياسية والإجتماعية والأخلاقية، وصور ما قابله من ألوان العدل والظلم.
9- كما ذكر الرحالة الحروب التي كانت دائرة بين المقاتلين في سبيل الله: الصليبيين والمسلمين في الشام، وقد حظي السلطان صلاح الدين الأيوبي بتبجيل عظيم من مدوناته باعتباره أنموذجا للبطولة.
10- لقد كان ابن جبير كريم الخلق، ويتمتع بعاطفة دينية قوية، فكان يختم كل كلامه بالدعاء للمدن التي مر بها، فقال: يحرسها الله، عمرها الله، حماها الله.
11- أظهرت لنا رحلة ابن جبير أفكار وحقائق عن التواصل الحضاري من خلال عزمه وتصميمه في طلب العلم وكشف الحقائق، والوصول إلى أماكن بعيدة ووعرة شاقة وخطيرة مكلفة للوقت والمال، من اجل إعطاء وإيصال الحقائق إلى الناس.
12- خدمت الرحلات في التعرف على الطرق والأماكن الموارد المائية، عادات الشعوب وتقاليد الأديان، الحرية والعبودية، الأهلية، الجهل، الثقافة، العدل، المساواة، الإبداع، أنظمة الحكم، كلها مظاهر من التواصل الحضاري وروح التسامح والعدل والمساواة عند الأمم.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يكون حالفني التوفيق في إبراز أهم النتائج التي توصلت إليها محققة بذلك الهدف المرجو من هذا البحث.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وشفيعنا النبي الأمين محمد بن عبد الله وعلى الــه وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

القرآن الكريم

1- ابن الآبار/ الحلة السيراء/ تحقيق حسين مؤنس- الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ط1.
2- ابن جبير/ رحلة ابن جبير تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار/ دار صادر بيروت 1959.
3- ابن دحية/ المطرب من أشعار أهل المغرب/ تحقيق إبراهيم الايباري المطبعة الأميرية القاهرة 1954.
4- ابن رشيد الفهري السبتي/ ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة/ تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة الدار التونسية للنشر تونس 1982.
5- ابن الخطيب/ رحلة خطرة اللطيف في رحلة الشتاء والصيف/ تحقيق وتقديم احمد مختار العبادي المؤسسة العربية للنشر. بيروت.
6- ابن قتيبة/ الشعر والشعراء/ دار المعارف ج1. 1966.
7- التطيلي بنيامين/ رحلة بنيامين التطيلي/ ترجمة عزرا حداد بغداد 1945.
8- السخاوي/ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع/ دار الحياة بيروت لبنان ج4.
9- الغرناطي/ تحفة الألباب ونخبة الإعجاب/ تحقيق إسماعيل العربي. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري 1982.

قائمة المراجـع

1- البكري/ المسالك والممالك/ نقلا عن الطرطوشي.
2- الحميدي/ جدوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس/ تحقيق إبراهيم الإيباري. دار الكتاب اللبناني ط2. 1982.
3- الحميري/ الروض المعطار في خبر الأقطار/ تحقيق إحسان عباس. بيروت. ط1. 1975.
4- الشوابكة نوال عبد الرحمن/ أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري/ دار المأمون للنشر والتوزيع. عمان.وزارة الثقافة ط1. 2008.
5- العبدري/ الرحلة المغربية/ تحقيق محمد الفاسي. وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي الرباط 1968.
6- المقري احمد بن محمد/ نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب/ تحقيق إحسان عباس. دار صادر بيروت ج2. 1968.
7- حسين محمود حسين/ أدب الرحلة عند العرب/ المكتبة الثقافية 335 الهيئة العامة للكتاب القاهرة 1976م.
8- حسن السائح/ تاج المفرق في تجلية علماء المشرق/ مطبعة فضالة المحمدية المغرب. ج1.د.ت.
9- حليفي شعيب/ الرحلة في الأدب العربي- التجنس- آليات الكتابة- خطاب متخيل/ الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة.2002.
10- رمضان احمد/ الرحلة والرحالة/ دار البيان العربية. جدة.د.ت.
11- زكي حسن/ الرحالة والمسلمون في العصور الوسطى/ دار المعارف مصر 1945.
12- زيادة نقولا/ الجغرافيا والرحلات عند العرب/ دار الكتاب اللبناني بيروت 1962.
13- عباس إحسان/ تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة/ دار الثقافة بيروت ط2.
14- عبد العزيز الأهواني/ ترصيع الأخبار/ معهد الدراسات الإسلامية. مدريد 1967.
15- عبد الرحمـن حميدة/ أعلام الجغرافيين العرب.
16- فؤاد قنديل/ أدب الرحلة في الثرات العربي/ مكتبة الدار العربية للكتاب ط2. 2002

17- فاطمة خليل/ الرحالة في الأدب المغربي.
18- كراتشكوفسكي اغناطيوس يوليا نوفنس/ تاريخ الأدب الجغرافي العربي/ ترجمة صلاح الدين هاشم. دار الغرب الإسلامي بيروت ط2. 1987.
19- الأستاذين: لاسنون ومايبه/ منهج البحث في اللغة والأدب/ تعريب.د. محمد مندور. نشر دار العلم للملايين 1949.
20- مؤنس حسين/ تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس/ معهد الدراسات الإسلامية مدريد 1967.
21- معروف ناجي/ علماء النظاميات ومدارس الشرق الإسلامي/ مطبعة الإرشاد. بغداد 1973.
22- د. محمد صادق عفيفي/ تطور الفكر العلمي عند المسلمين/
23- محمد الفاسي/ دراسات مغربية/
24- د. ناصر الوافي/ الرحلة في الأدب العربي من نهاية القرن الرابع الهجري.

قائمة ***الدوريات***

1- مجالات أندلسية: الآراء التربوية لابن حزم الأندلسي وتطبيقاتها. العدد 12.

2- مجلة الأبحاث: رحلة ابن عربي إلى المشرق كما صورها قانون التأويل (21) العدد 1-4.

3- مجلة الأبحاث: ثرات المغاربة في الجامعة السعودية.ا.د. حسن الواركلي. عدد.1-4 سنة 21.

4- مجلة الفيصل: دعوة لدراسة ادب الرحلات في ثراتنا العربي. المملكة العربية السعودية عدد 186 سنة 16 يونيو 1992.

5- مجلة المناهل المغربية: الرحلات المغربية الحجازية. المغرب عدد 518. 56 أغسطس 1994.

قائمة المعاجم العربية

1- إبراهيم مصطفى/ المعجم الوسيط/ تحقيق مجمع اللغة العربية.القاهرة ط4. 2004.

2- منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت 711هـ/ لسان العرب/ دار صادر بيروت. د.ت.

3- ياقوت الحموي ت 626هـ/ معجم البلدان/ دار إحياء الثرات العربي. بيروت ج2. 1979.

قائمة الرسائل الجامعية

1- ا.د. محمد بشير حسن راضي العامري: البحث الموسوم: دور الرحالة المشارقة والمغاربة وأهل الأندلس، نقل مظاهر التواصل الحضاري إلى الولايات الإسلامية عبر التاريخ. جامعة بغداد. كلية التربية للبنات. مؤتمر جامعة فيلادلفيا.

الأنترنت

1- رابط الموضوع:

http// www.alukh.net/library/0/5342/* ixzz3ppkngc6k -2

2-هيثم سرحان: رحلة ابن جبير والطريق إلى بيت الله الحرام. مقاربة سميائية. مقالة في النت 2007.

المحتويات:

الموضوع	الصفحة
سورة الفاتحة	
ضياء من هدي السنة النبوية الشريفة	
دعاء	
الإهداء	
خطة البحث	
المقدمة	
مدخل: قراءة في الرحلات الأندلسية	
1/ التاريخ	11-2
2/ الأعلام	11-2
3/ الدوافع	13-12
4/ الغايات	15-14
الفصل الأول: رحلة ابن جبير	
1/ مسارها	30-23
2/ منهجها	35-31
3/أهدافها	38-36
الفصل الثاني: مظاهر الرحلة	
1/ الإجتماعية	45-39
2/ الدينية	53-46
3/ الثقافية	59-54

الخاتمة 61-60
قائمة المصادر والمراجع 68-62
ملخص -69-

الملخص

الملخص باللغة العربية:

ملام من لم يجد أمرا يعجبه في شخصية ابن جبير، فترحاله الدائم ينم عن حب للمعرفة والاستطلاع، وهذا أمر عظيم بحد ذاته، فالمعرفة جهاد وقد كان ابن جبير يجاهد في طلبها لذا أعجبت بهذه الشخصية كثيرا حيث لم يتوقف ما قدمه من معارف في رحلته، بل أفاد المتعلمين في عديد من المجالات منها: التاريخ وعلم الاجتماع والجغرافيا والسياسة والدين والثقافة.

بالإنجليزية:

the personality of ibn jubair is admirable to anyone , no one knows his achieves and can't be fan of his works ,his travels reflects the love of knowledge and reconnaissance which is something great because knoldge is persistence and he was indeed a persistent man always seeking science anywhere that what made me admire 69ima lot , he always benefit the learners in many fields such as : history , Sociology , politics , religion and culture.

بالفرنسية:

la personnalité de ibn jubair est admirable à tout le monde, personne ne connaît ses atteigne et ne peut pas être fan de ses œuvres, ses voyages reflète l'amour de la connaissance et de reconnaissance qui est quelque chose de grand parce knoldge est la persistance et il était en effet un homme persistant toujours la recherche scientifique partout que ce qui m'a admire beaucoup, il a toujours bénéficier les apprenants dans de nombreux domaines tels que: l'histoire, la sociologie, la politique, la religion et la culture